

فرانز كافكا

الآثار الكاملة

مع تفسيراتها

٢

(الذات)

المحاكمة

رواية

ترجمها عن الالمانية ابراهيم وطفى

المحاكمة

الناشر ابراهيم وطفي

ibrahim-watfe@maktoob.com

Verleger
Ibrahim Watfe
P.O.Box 20 1406
53144 Bonn
Germany
watfe@t-online.de

التوزيع: دار الحصاد للنشر
سورية - دمشق - برامكة
هاتف/فاكس: ٢١٢٦٣٢٦
صندوق بريد: ٤٤٩٠

حقوق الطبع محفوظة للمترجم

الطبعة الثانية (موسعة)

عام ٢٠٠٤

موافقة وزارة الإعلام على الطباعة:

رقم ٧١٥٩٣ تاريخ ٣٠ - ١ - ٢٠٠٢

فرانز كافكا

الآثار الكاملة

مع تفسيراتها

٢

(الذات)

المحاكمة

رواية

ترجمها عن الألمانية ابراهيم وطفى

على الكتاب أن يكون الفأس التي تكسر البحر المتجمد فينا

كافكا

إن كتابات كافكا هي ضربة فأس ضد البحر المتجمد فينا

ناقد



الى
كاتارينا جبرانا
وزكية ميلينا
وجبران خليل



الفهرس

I - المحاكمة

| | |
|-----|--|
| ١٣ | اعتقال |
| ١٥ | مُدَّع عام |
| ٣١ | الآنسة بورستتر |
| ٣٨ | صديقة الآنسة بورستتر |
| ٥٢ | تحقيق أول |
| ٦١ | الجلاد |
| ٧٩ | في قاعة الجلسات الخالية / الطالب / المكاتب |
| ٨٦ | إلى الزا |
| ١١١ | صراع مع نائب المدير |
| ١١٣ | العم / لني |
| ١١٨ | نص جزئي |
| ١٣٩ | في الكاتدرائية |
| ١٤١ | محام / صاحب معمل |
| ١٦٦ | رسام |
| ١٩٤ | التاجر بلوك / إخطار المحامي بإلغاء توكيله |
| ٢١٩ | البيت |
| ٢٥٠ | سفرة إلى الأم |
| ٢٥٤ | حلم |
| ٢٥٨ | نهاية |
| ٢٦١ | |

II - دراسات

- ٢٦٩ ١ - الحكم قبل المحاكمة
- ٢٧٥ ٢ - المفقود في المجتمع الصناعي
- ٢٨٥ ٣ - من اليوميات: نشوء رواية «المحاكمة»
- ٢٩٤ ٤ - طبقات
- ٣٠٠ ٥ - تسلسل فصول
- ٣٠٩ ٦ - شرح مفردات وتعابير
- ٣١٩ ٧ - من تفسيرات أولى
- ٣٤٤ ٨ - جهاز السلطة المثالي والفرد
- ٣٥٧ ٩ - كتاب القرن العشرين
- ٣٦١ ١٠ - وعي الذات
- ٣٦٤ ١١ - فهم القارئ لنفسه
- ٣٧١ ١٢ - أمام القانون / نحن أمام القصة
- ٣٧٩ ١٣ - أمام القانون / مدخل إلى عالم كافكا
- ٣٩٢ ١٤ - عملية الكتابة
- ٤٠٥ ١٥ - سحر البداية و«التردد قبل الولادة»
- ٤١٢ ١٦ - الفراش
- ٤٢٥ ١٧ - العالم كمحاكمة
- ٤٥٢ ١٨ - الذات - الواجهة والذات النقية
- ٤٦١ ١٩ - الخجل الأخير
- ٤٦٩ ٢٠ - أحداث خارجية وداخلية

III - المحاكمة الصحيحة

- ٤٧٥
- ٤٧٧ رسالة كافكا غير المدركة / «المحاكمة» الصحيحة
- ٤٧٩ ملاحظة أولى: ١ - إشارة من أجل قراءة خلافة
- ٤٨٣ ٢ - تسلسل الفصول الصحيح

- أ - دون وعي الحرية والمسؤولية تفشل الحياة الإنسانية والاجتماعية
- ١ - الدعوة إلى تأمل جديد واع
٤٨٥ - الاعتقال -
- ٢ - الخطايا اللاواعية في الحياة المباشرة
٤٩٠ - المدعي العام -
- ٣ - وحدة الحسية والحس المهددة
٤٩٣ - الأنسة بورستنز -
- ٤٩٥ - صديقة الأنسة بورستنز -
- ٤ - مسؤولية الفرد ايماناً بكرامة الانسان
٤٩٨ - تحقيق أول -
- ٥٠٢ - الجلاد -
- ٥ - المحكمة كصورة منعكسة للامكانيات البشرية
٥٠٥ - في قاعة الجلسات الحالية/الطالب/المكاتب -
- ٥١١ - اللي إلزا -
- ٦ - الآمال الخداعة والانحرافات الممكنة
٥١٢ - صراع مع نائب المدير -
- ٥١٤ - العم / لني -
- ٥١٩ - نص جزئي -
- ب - تحقيق الحياة لا يتيسر سوى للشخصية المستقلة
- ١ - حرية القرار بالسلوك الصحيح
٥٢٠ - في الكاتدرائية -
- ٥٢٥ - أمام القانون -
- ٢ - التأثير المتبادل بين الادراك الصحيح والسلوك طبقاً لذلك
٥٣١ - محام -
- ٥٣٥ - صاحب معمل -
- ٣ - الحياة الثقافية كتسليبة اجتماعية وتجارة

- أم سموّ شخصي وإدراك
- ٥٣٧ - رسام -
- ٤ - واجب اثبات الذات الشخصي
ضد قرار الغير والوضع تحت الوصاية
- ٥٤٥ - التاجر بلوك -
- ٥٤٨ - إخطار المحامي بإلغاء توكيله
- ٥ - طرائق تحقيق الحياة تحقيقاً مجدياً
- ٥٥١ - البيت -
- ٥٥٥ - سفرة الى الأم -
- ٦ - الموت أملاً بالخلاص أو هلاكاً نهائياً
- ٥٥٧ - حلم -
- ٥٥٩ - نهاية -
- ٥٦٧ ج - كافكا الآخر
- ٥٦٩ ملاحظة ختامية: نتيجة التفسير

٥٧٠ أحاديث ومراسلات مع الذي أدرك أخيراً رسالة كافكا

٦٥٦ كلمة ختامية

IV - من سيرة حياة كافكا وتلقي آثاره في العالم

- ٦٦٩ ١ - أعوام القرارات
- ٦٧١ ٢ - الحكم على الذات
- ٦٩٥ ٣ - مراسلات وحديث مع كاتب سيرة كافكا
- ٧٢٢ ٤ - تلقي آثار كافكا في العالم
- ٧٧٤

٧٩٣ أسماء المشاركين في وضع الدراسات

٨١٠ أخطاء مطبعية

٨١٥ للمترجم

المحاكمة

اعتقال

لابد أن أحداً قد افترى على يوزف ك، إذ اعتقل ذات صباح دون أن يكون من شأنه قد فعل شراً. إن طبّاخة مؤجرة غرفته السيدة غروباخ، التي كانت تحضر له طعام الفطور كل يوم في نحو الساعة الثامنة صباحاً، لم تأت هذه المرة. وهذا ما لم يكن قد حدث قط. وانتظر ك فترة وجيزة، ورأى، ورأسه مازال على الوسادة، المرأة العجوز التي تسكن قبالة والتي راحت تراقبه بفضول غير مألوف لديها أبداً؛ لكنه من ثم، وهو مستغرب وجائع في الوقت نفسه، قرع الجرس. وعلى الفور طُرق الباب، ودخل رجل لم يكن قد رآه قط في هذا المسكن. كان نحيلاً لكنه متين البنيان، وكان يرتدي رداء محبوبك التفصيل أسود اللون، يحمل مثل بدلات السفر ثياب مختلفة وجيوباً وبكّلات وأزراراً وحزاماً، وبالتالي بدا رداءً عملياً، دون أن يتضح للمرء لماذا يصلح. «من أنت؟» سأل ك وجلس معتدلاً في الفراش في اللحظة نفسها. لكن الرجل تجاهل السؤال وكأنما كان على المرء أن يتقبل حضوره، واكتفى من طرفه بالقول: «لقد قرعت الجرس؟». «على أنا أن تحضر لي طعام الفطور»، قال ك وحاول في بادئ الأمر بصمت أن يعرف حقيقة الرجل بالانتباه والترؤي. لكن هذا لم يعرض نفسه لنتظراته طويلاً، بل اتجه صوب الباب، الذي فتحه قليلاً لكي يقول لأحد كان يقف على ما

يبدو خلف الباب مباشرة: «يريد أن تحضر له أنا طعام الفطور». وأعقب ذلك قهقهة صغيرة في الحجرة المجاورة، لم تؤكد رنتها فيما إذا لم يكن عدة أشخاص قد شاركوا فيها. ورغم أنه لا يمكن للرجل الغريب أن يكون بذلك قد علم شيئاً لم يكن يعرفه سابقاً، قال الآن لك بلهجة إخبار: «غير ممكن». «من شأن هذا أن يكون أمراً جديداً»، قال ك، وقفز من الفراش وارتدى سرواله على عجل. «أريد أن أرى أي ناس هؤلاء في الحجرة المجاورة وكيف ستبرّر لي السيدة غروباخ هذه المضايقة». صحيح أنه خطر له على الفور أنه ما كان ينبغي عليه أن يقول هذا بصوت عال وأنه بهذا إنما قد اعترف إلى حد ما بحق رقابة للغريب، لكن الأمر بدا له الآن غير ذي أهمية. وعلى كل حال فهم الغريب الأمر هكذا، إذ أنه قال: «ألا تفضّل البقاء هنا؟». «لا أريد أن أبقى هنا ولا أن تخاطبني ما لم تعزفني بنفسك». «كان القصد طيباً»، قال الغريب وفتح الباب الآن طوعاً. في الحجرة المجاورة، التي دخل إليها ك ببطء أكثر مما أراد، بدا المنظر للوهلة الأولى على حاله تماماً تقريباً كما كان في المساء السابق. كانت حجرة جلوس السيدة غروباخ، وربما كان في هذه الحجرة، الممتلئة بقطع الأثاث والخزف والأغطية والصور، اليوم قدّر يسير من الفراغ أكثر من المعتاد. لم يُر ذلك على الفور، ولا سيما أن التغيير الرئيسي كان يكمن في وجود رجل كان يجلس إلى جانب النافذة المفتوحة ويده كتاب، رفع الآن نظره عنه وقال: «كان عليك أن تبقى في حجرتك! ألم يقل لك هذا فرانز إذاً؟». «نعم، ماذا تريدان إذاً؟» قال ك وانتقل ببصره من الرجل الجديد إلى المستمى فرانز، والذي كان قد ظل واقفاً بالباب، ثم عاد إلى الأول. وعبر النافذة المفتوحة شوهدت المرأة العجوز مرة أخرى، والتي كانت تقف الآن قرب النافذة المقابلة بفضول شيخوخي حقاً لكي ترى كل شيء. «أريد السيدة غروباخ»، قال ك، وأتى بحركة وكأنه ينتزع نفسه من الرجلين، رغم أنهما كانا يقفان بعيداً عنه، وأراد أن ينصرف.

«لا»، قال الرجل الجالس قرب النافذة، وألقى الكتاب فوق منضدة صغيرة، ونهض. «لايسمح لك بالانصراف. لقد اعتقلت حقاً». «هكذا يبدو»، قال ك ثم سأل: «ولماذا إذاً؟». «لسنا مكلفين بأن نقول لك هذا. اذهب إلى حجرتك وانتظر. لقد افتتحت المحاكمة وسوف تعلم كل شيء في الوقت المناسب. وأنا أتجاهز مهمتي حين أتحدث إليك بوذ هكذا كي أوثر عليك. لكنني آمل ألا يسمع ذلك أحد غير فرانز، وهو نفسه لطيف معك على عكس كل التعليمات. وإذا حالفك الحظ مستقبلاً هكذا كما حالفك لدى تعيين حراسك، فإنه يمكنك أن تكون مطمئناً». أراد ك أن يجلس، لكنه رأى أنه لا يوجد موضع جلوس في الحجرة كلها سوى الكرسي إلى جانب النافذة. «سوف تدرك كم هو حقيقي كل هذا»، قال فرانز واتجه نحوه في الوقت نفسه مع الرجل الآخر. وكان هذا خاصة أطول قامة إلى حد كبير من ك، وقد ربت على كتفه أكثر من مرة. وتفحص الإثنان منامة ك وقالوا إنه سينبغي عليه الآن أن يرتدي منامة أسوأ بكثير، وإنهما سيحفظان هذه المنامة وبقية ملابسه الداخلية، وسيعيدانها إليه إذا جاءت نتيجة محاكمته في صالحه. وقالوا: «من الأفضل أن تعطي الثياب لنا بدلاً من مستودع الأمانات، إذ غالباً ما تحدث اختلاسات في المستودع، وبالإضافة إلى ذلك يبيع المرء هناك جميع الأشياء بعد مضي وقت معين، وذلك دون مراعاة فيما إذا كانت المحاكمة صاحبة العلاقة قد انتهت أم لا. وكم تستمر طويلاً مثل هذه المحاكمات ولاسيما في الفترة الأخيرة! ومن شأنك أن تحصل أخيراً في هذه الحالة من المستودع على الثمن. لكن هذا الثمن هو أولاً قليل في حد ذاته، حيث أن ما يحدد الثمن لدى المبيع ليس زيادة العرض وإنما زيادة الرشوة، وثانياً تتناقص مثل هذه الإيرادات، حسب التجربة، بانتقالها من يد إلى يد ومن عام إلى عام». ولم يعبا ك بهذا الكلام كثيراً، ولم يقم وزناً كبيراً لحق التصرف في أمعته الذي كان ربما مازال يملكه، ما كان يهّمه

أكثر هو أن يطّلع على حقيقة وضعه؛ لكن لم يكن في مقدوره أن يفكر مجرد تكفير بحضور هذين الشخصين. والمرة بعد الأخرى راح كرش الحارس الثاني - لا يمكن أن يكونا سوى حارسين - يصطدم به بحركة ودية حقاً، لكنه إذا ما رفع نظره، فسرى وجهاً جافاً ضامراً لا يناسب هذا الجسم البدين مطلقاً، وجهاً ذا أنف ضخمة مائل كان يتفاهم من فوقه مع الحارس الآخر. أي ناس كان هذان؟ عما كانا يتحدثان؟ إلى أي سلطة ينتميان؟ كان ك يعيش في دولة دستورية، وفي كل مكان يسود السلام، وكل القوانين سارية، من أقدم على مدامته في بيته؟ كان يميل دائماً إلى الاستهانة بكل شيء ما أمكن، ولا يرى السيء إلا بعد وقوع السيء، ولا يحتاط للمستقبل، ولو أحرق كل خطر. لكن هنا بدا له هذا غير مناسب؛ صحيح أنه يمكن للمرء أن يعتبر الأمر كله دعابةً، دعابة غليظة أعدّها له زملاؤه في المصرف، لأسباب يجهلها، ربما لأن اليوم كان يوم عيد ميلاده الثلاثين، كان هذا أمراً ممكناً طبعاً، وربما لم يكن بحاجة سوى إلى أن يضحك للحارسين بطريقة ما حتى يضحكان معه، وربما كانا حمّالين من ناصية الشارع، لم يكونا غير شبيهين بهما... ورغم ذلك فقد عقد العزم هذه المرة حقاً منذ رؤيته الأولى للحارس فرانز ألا يترك من يده أقل ميزة قد يكون يملكها إزاء هذين الشخصين. ولم ير خطراً كبيراً في أن يقال فيما بعد إنه لم يفهم المزاح، بيد أنه تذكر - وإن لم يكن من عادته فيما عدا ذلك أن يتعلم من تجاربه - من بعض الحالات غير المهمة في حد ذاتها كان، على خلاف أصدقائه وبوعي وبدون أقل إحساس للعواقب الممكنة، قد تصرف فيها في غير ما حيطة، فجاءت نتيجتها عقاباً له. على هذا ألا يتكرر حدوثه، في هذه المرة على الأقل، وإذا ما كان الأمر ملهأةً، فإنه يريد أن يشارك في اللعب.

كان مايزال حراً. «اسمحا لي»، قال واجتاز الحارسين مسرعاً، وذهب إلى حجرته، وسمع أحدهما يقول: «يبدو أنه عاقل». وفي حجرته فتح على الفور أدراج مكتبه بعنف، وهناك كان كل شيء مرتباً ترتيباً كبيراً، لكن بالذات أوراق إثبات الشخصية التي بحث عنها لم يستطع، في البلبلة، أن يجدها على الفور. وأخيراً وجد أوراق الدرجة، وأراد أن يذهب بها إلى الحارسين، لكنها بدت له من ثم ضئيلة الأهمية، فاستمر في البحث حتى وجد شهادة الميلاد. وإذ عاد إلى الحجرة المجاورة، فُتح الباب المقابل في هذه اللحظة، وهمت السيدة غروباخ بالدخول إلى هناك. ولم تُر سوى لحظة واحدة، إذ أنها ماكادت ترى ك حتى ارتبكت على ما يبدو، فطلبت المَعذرة، وتوارت وأغلقت الباب بحرص بالغ. «فلتدخلي»، لم يستطع ك أن يقول لها أكثر من ذلك، وأصبح الآن يقف وسط الحجرة حاملاً أوراقه، مازال ينظر إلى الباب الذي لم يفتح ثانية، حتى أفرعه نداء الحارسين، اللذين كانا يجلسان إلى الطاولة الصغيرة قرب النافذة المفتوحة، وراحا، كما شاهد ك الآن، يتناولان طعام فطوره. «لماذا لم تدخل؟» سأل. «لا يسمح لها»، قال الحارس الطويل، «إنك لمعتقل». «كيف يمكنني أن أكون معتقلاً؟ وحتى بهذه الطريقة؟». «ها أنت تبدأ مرة أخرى إذا»، قال الحارس، وغمس شريحة خبز بالزبدة في وعاء العسل الصغير. «مثل هذه الأسئلة لا نجيب عليها». «سوف يتحتم عليكما أن تجيبا عليها»، قال ك. «هذه هي أوراق إثبات شخصيتي، ابرزا لي الآن أوراقكما، ولاسيما أمر الاعتقال». «أيتها السماوات!» قال الحارس، «أنتك لا تستطيع أن ترضى بوضعك، ويبدو أنك تتعمد استئارتنا على غير جدوى، نحن الأقرب إليك الآن على الأرجح من جميع أخوتك البشر الآخرين». «هذا هو الحال، صدق الأمر!» قال فرانز، ولم يرفع فنجان القهوة الذي كان يمسكه بيده إلى فمه، بل نظر إلى ك نظرة طويلة ذات معنى على الأرجح لكنها غير مفهومة. ودخل ك، دون إرادة

منه، في حوار نظرات مع فرانز؛ لكنه ضرب من ثم على أوراقه وقال: «هذه هي أوراق إثبات شخصيتي». «وماذا تهتمنا هذه؟» قال الحارس الطويل بصوت عال، «إنك تتصرف أسوأ من طفل. ماذا تريد إذا؟ هل تريد إيصال محاكمتك الكبرى اللعينة إلى نهاية سريعة، بأن تناقش معنا نحن الحراس إثبات الشخصية وأمر اعتقال؟ نحن مستخدمان من مرتبة صغيرة غير خبيرين بأوراق إثبات الشخصية، ولا علاقة لهما بمحاكمتك سوى تأدية نوبة حراسة لديك مدة عشر ساعات يومياً وتقاضي أجر لقاء ذلك. هذا كل ما نحن، لكننا رغم ذلك قادران أن ندرك أن السلطات العليا التي نعمل في خدمتها، قبل أن تأمر بمثل هذا الاعتقال، إنما تطلع بدقة تامة على أسباب الاعتقال وشخص المعتقل. في هذا الأمر لا يوجد خطأ. إن سلطتنا، على قدر علمي بها، وأنا لا أعرف سوى أصغر المراتب، لاتبحت، ربما، عن الذنب بين السكان، وإنما تجذب من قبل الذنب، كما جاء في القانون، ويتوجب عليها أن ترسلنا نحن الحراس. هذا قانون. أين يمكن أن يوجد خطأ هنا؟». «هذا القانون لا أعرفه»، قال ك: «هذا أسوأ بالنسبة إليك»، قال الحارس. «لا يوجد سوى في رأسيكما»، قال ك، وأراد أن ينفذ إلى أفكار الحارسين ويوجهها لصالحه أو يصبح جزءاً منها. لكن الحارس قال رافضاً فحسب: «سوف تحسّ بالأمر». وتدخل فرانز قائلاً: «انظر يا فيلم، يعترف أنه لا يعرف القانون ويدعي في الوقت نفسه أنه بريء». «لك حق كل الحق، لكن لا يمكن إفهامه أي شيء»، قال الآخر. ولم يردّ ك بشيء؛ وفكر، هل ينبغي عليّ أن أربك نفسي أكثر بثرثرة هذين العضوين من أصغر مرتبة - يعترفان بأنفسهما أنهما هكذا -؟ وإنهما ليتحدثان على كل حال عن أشياء لا يفهمانها قط. ووثوقهما غير ممكن لولا غباؤهما. وبضع كلمات سوف أتحدث بها مع إنسان نَدّ لي سوف توضح كل شيء أكثر بشكل لا يقارن من أطول الأحاديث مع هذين. ومشى بضع مرات جيئةً وذهاباً في فراغ

الحجرة، وفي الجانب الآخر رأى المرأة العجوز التي كانت قد جرت إلى النافذة رجلاً عجوزاً أكبر سناً منها بكثير وأحاطت عنقه بذراعيها؛ وكان على ك أن يُنهي هذا العرض، فقال: «خذاني إلى رئيسكما». «حتى يرغب في ذلك؛ وليس قبل»، قال الحارس الذي كان قد سمّي فيلْم، وأضاف: «أنصحك الآن أن تذهب إلى حجرتك، وتلزم الهدوء، وتنتظر ما سوف يُقضى بشأنك. إننا ننصحك بالألّهي نفسك بأفكار غير مجدّية، وإنما أن تستجمع قواك؛ إذ سوف توضع أمامك متطلبات عالية. إنك لم تعاملنا كما كان من شأن لطفنا أن يستحق، ونسيت أننا، مهما كنا، رجلان حرّان إزاءك الآن على الأقل؛ وليس هذا تفوقاً صغيراً. ورغم ذلك فنحن مستعدان، إذا كان لديك نقود، أن نجلب لك فطوراً صغيراً من المقهى الواقع إلى الجانب الآخر».

دون أن يردّ على هذا العرض وقف ك ساكناً فترة وجيزة. ربما لن يكون من شأن الإثنين، إذا ما فتح باب الحجرة التالية أو حتى باب الحجرة الأمامية، أن يقدموا على منعه قط، وربما كان أسهل حل للأمر كله أن يذهب به إلى أبعد الحدود. لكن ربما كان من شأنهما أن يمسكا به، وإذا ما طُرح أرضاً مرة، فإنه سوف يفقد كل تفوق، هذا التفوق الذي كان ولاشك قد حافظ عليه إزاءهما الآن. ولهذا أثر ضمان الحل، هذا الحل الذي لا بد للمجرى الطبيعي أن يأتي به، وعاد إلى حجرتة دون أن تقع كلمة أخرى من طرفه أو من طرف الحارسين.

ألقي بنفسه فوق سريره، وتناول من على المنضدة الصغيرة تفاحة جميلة كان قد أعدّها مساء أمس من أجل طعام الفطور. والآن أصبحت فطوره الوحيد، وعلى كل حال، كما تأكد له لدى القضم الكبيرة الأولى، أفضل بكثير من الفطور الذي قد يجلب له من المقهى الليلي الوسخ، والذي

كان من شأنه أن يحصل عليه بمئة من الحارسين. وشعر براحة واطمئنان. صحيح أن عمله في المصرف فاته صباح اليوم، لكن يسهل الاعتذار عن هذا التأخير نظراً للمركز الكبير نسبياً الذي يشغله. هل عليه أن يذكر العذر الحقيقي؟ ونوى أن يفعل ذلك. وإذا لم يصدقه المرء، الأمر الذي يمكن فهمه في هذه الحالة، فإنه يستطيع أن يقدم السيدة غروباخ كشاهدة، أو العجوزين من الجانب الآخر أيضاً، اللذين كانا الآن ولاشك في طريقهما إلى النافذة المقابلة. وتعجب ك، تعجب على الأقل انطلاقاً من نسق تفكير الحارسين، من أنهما دفعاه إلى الحجرة وتركاه هنا وحيداً، حيث كان يملك عشر إمكانيات لقتل نفسه. لكنه سأل نفسه في الوقت ذاته، انطلاقاً من نسق تفكيره، عن السبب الذي يمكنه أن يدفعه إلى فعل ذلك. هل ربما لأن الإثنين كانا يجلسان في الحجرة المجاورة بعد أن استوليا على طعام فطوره؟ كان سيكون من العبث أن ينتحر، لأنه، حتى لو أراد أن يفعل ذلك، ما كان قادراً على فعله بسبب عبثية هذا الفعل. ولو لم يكن ضيق أفق الحارسين ملفتاً للنظر هكذا، كان في مقدور المرء أن يفترض أنهما هما أيضاً، بناء على القناعة نفسها، لم يريا خطراً في تركه وحيداً. كان من شأنهما الآن أن يشاهدا، لو أرادا، كيف ذهب إلى خزانة حائط صغيرة حفظ فيها عرقاً جيداً، كيف أفرغ قدحاً صغيراً أولاً كتعويض عن طعام الفطور، وكيف خصص قدحاً ثانياً لتشجيعه، وهذا الثاني على سبيل الاحتياط فقط للحالة بعيدة الاحتمال بأنه قد يكون ضرورياً.

وهنا أفرعه نداء من الحجرة المجاورة على نحو لطم معه أسنانه بالقدح. كان النداء: «المراقب يناديك». وكان الصباح وحده هو الذي أفرعه، هذا الصباح العسكري المتقطع الذي لم يكن يظن قط أن الحارس فرانز قادر على إصداره. الأمر نفسه كان ملائماً له كل الملاءمة. «أخيراً»، ردّ منادياً، وأغلق

خزانة الحائط، وأسرع في الحال إلى الحجرة المجاورة. كان الحارسان يقفان هناك، وقد رذاه إلى حجرته ثانية وكأن هذا أمر بديهي. وصاحا: «ماذا دهاك؟ بالقميص تريد الثول أمام المراقب؟ إنه يدعك توسع ضرباً ونحن معك!». «اتركاني بحق الشيطان»، صاح ك الذي كان قد دُفع حتى وصل إلى خزانة ملابسه، «إذا داهمني المرء في الفراش، فلا يمكنه أن يتوقع أن يجديني في حلّة العيد». «لايفيد شيئاً»، قال الحارسان اللذان كانا كلما صرخ ك يظلان هادئين كل الهدوء، بل يصبحان حزنين تقريباً، ويثيران بهذا الحيرة في نفسه، أو يرجعانه إلى رشده نوعاً ما. «مراسم مضحكة!» همهم، لكنه رفع سترة من على الكرسي، ومسكها فترة وجيزة بكلتا يديه كأنه يعرضها لحكم الحارسين. هزّأ رأسهما وقالا: «يجب أن تكون سترة سوداء». فألقى ك السترة إلى الأرض، وقال - هو نفسه لم يعرف بأي معنى قاله -: «لكن ليست هذه الجلسة الرئيسية بعد». ابتسم الحارسان، غير أنهما ظلا لدى قولهما: «يجب أن تكون سترة سوداء». «إذا كنت بهذا أعجل الأمر، فعلى ذلك أن يرضيني»، قال ك وفتح بنفسه خزانة الملابس، وبحث طويلاً بين الملابس الكثيرة، واختار أفضل لباس أسود، سترة كانت تكاد تلفت أنظار المعارف بتفصيلتها، كما أخرج قميصاً آخر، وبدأ يرتدي ملابسه بعناية. وكان بينه وبين نفسه يعتقد بأنه توصل بهذا إلى تعجيل الأمر كله بأن نسي الحارسان إرغامه على الدخول إلى الحمام. وراقبهما فيما إذا كان من شأنهما، ربما، أن يتذكرا ذلك، لكن هذا لم يخطر على بالهما طبعاً، غير أن فيلّم لم ينس أن يرسل فرائز إلى المراقب لإخباره أن ك يرتدي ملابسه.

ولما فرغ من ارتداء ملابسه كلياً وجب عليه أن يذهب، مارّاً بمحاذاة فيلّم تماماً، عبر الحجرة الجانبية الخالية، إلى الحجرة التالية التي كان بابها

مفتوحاً على مصراعيه. كانت هذه الحجره، كما كان ك يعلم تماماً، مسكونه منذ فترة قصيره من قبل آنسه تدعى بورستتر، تعمل طابعه على الآله الكاتبه، اعتادت أن تذهب إلى العمل في الصباح الباكر وتعود إلى البيت في وقت متأخر، ولم يكن ك قد بادلها أكثر من كلمات تحية. والآن كانت المنضده الصغيره قد أزيحت من جانب سريها إلى وسط الحجره كطاوله محاكمه، والمراقب جلس وراءها. كان قد وضع ساقاً فوق أخرى وأسند ذراعاً على ظهر الكرسي. وفي ركن من أركان الحجره كان يقف ثلاثة شبان يتفرون على صور الأنسه بورستتر، التي كانت مثبته على حصيره جدارية معلقه على الحائط. وكان ثمة بلوزة بيضاء معلقه على مقبض النافذه المفتوحه. وقرب النافذه المقابله كان يقف العجوزان مره أخرى، لكن جمعهما كان قد زاد، إذ كان يقف وراءهما رجل أطول منهما بكثير يرتدي قميصاً مفتوحاً يكشف عن صدره، راح يضغط بأصابعه على لحيته المدببه ويفتلها.

«يوزف ك؟» سأل المراقب، ربما فقط لكي يلفت إليه نظرات ك الشارده. فأوما ك برأسه. «فوجئت جداً بأحداث صباح اليوم؟» سأل المراقب وأراح بكلتا يديه الأشياء القليله التي كانت على المنضده الصغيره، وهي شمعه وأعواد ثقاب وكتاب ووساده إبر ودبابيس، وكأنها أشياء يحتاجها في الجلسه. «بلا شك»، قال ك، وتملكه شعور طيب لوقوفه أخيراً إزاء إنسان عاقل يستطيع أن يتحدث معه عن مسألته. «لاشك أنني فوجئت، لكنني لم أفاجأ جداً أبداً». «لم تفاجأ جداً؟» سأل المراقب ووضع الآن الشمعه في وسط المنضده الصغيره، في حين جمع الأشياء الأخرى حولها. وأسرع ك إلى التعليق قائلاً: «ربما تسيء فهمي، أقصد». هنا قاطع ك نفسه وتطلع باحثاً عن كرسي، وسأل: «أستطيع، فيما أعتقد، أن أجلس؟». «هذا غير

مألوف»، أجاب المراقب. «أقصد»، قال ك: الآن دون فترة توقف أخرى، «لقد فوجئت جداً ولاشك، لكن عندما يكون المرء ثلاثين عاماً في العالم، وكان عليه أن يقتحم طريقه وحيداً مثلما قدّر عليّ، يكون صلب العود إزاء المفاجآت ولا يأخذها ولا يأخذ مفاجأة اليوم خاصة مأخذاً صعباً». «لماذا مفاجأة اليوم خاصة لا؟». «لأريد القول إنني أرى الأمر كله دعابة، إذ أن الإجراءات التي اتخذت تبدو لي كبيرة أكثر من اللازم. وكان على جميع أفراد النزول أن يشاركوا فيها وجميعكم أيضاً، ومن شأن هذا أن يتجاوز حدود الدعابة. لا أريد إذاً أن أقول إن الأمر دعابة». «صحيح كلياً»، قال المراقب وفحص عدد أعواد الثقاب في علبة الكبريت. «لكن من ناحية أخرى»، استطرد ك قائلاً، وتوجه إلى الجميع وكان بوّده أن يتوجه حتى إلى الثلاثة الواقفين عند الصور، «لكن من ناحية أخرى لا يمكن للمسألة أيضاً أن تكون ذات أهمية فائقة. أستنتج هذا من أنني مدعى عليه لكن دون أن أستطيع العثور على أدنى ذنب قد يمكن للمرء أن يتهمني بسببه. لكن حتى هذا هو أمر ثانوي، والسؤال الرئيسي هو: من الذي يتهمني؟ أية هيئة تقوم بالإجراءات القضائية؟ هل أنتم موظفون؟ لا أحد يرتدي زياً رسمياً، إذا لم يشأ المرء أن يسمي لباسك» - وهنا توجه إلى فرانز - «زيّاً رسمياً، لكنه بالأحرى بدلة سفر. في هذه الأمور أطلب إيضاحاً وأنا مقتنع أننا سوف نستطيع بعد هذا الإيضاح أن نودّع بعضنا بعضاً أحرّ وداع». وضرب المراقب علبة الثقاب على الطاولة وقال: «إنك على خطأ كبير. هؤلاء اسادة هنا وأنا عديمو الأهمية كلياً بالنسبة إلى مسألتك، لا بل لانعرف عنها شيئاً تقريباً. ولو كنا نرتدي البدلات الرسمية الأكثر صحة ونظامية، فإن قضيتك لن تكون أسوأ حالاً في شيء. كما لا يمكنني أن أقول لك بأي حال إنك مدعى عليه، أو بالأحرى إنني لا أعرف فيما إذا كنت مدعى عليه. أنت،

معتقل، هذا صحيح، ولا أعرف أكثر من ذلك. ربما ثرثر الحارسان شيئاً آخر، فكان إذاً مجرد ثرثرة. وإذا لم أستطع الآن إذاً أن أجيب على أسئلتك أيضاً، فإنني أستطيع أن أنصحك، فكّر أقل بنا وبما سيحدث لك، خير لك أن تفكر بنفسك أكثر. ولا تثر مثل هذه الضجة بإحساسك بالبراءة، فهذا يعكّر الانطباع غير السيء الذي تعطيه. كما عليك بعامة أن تكون أكثر تحفظاً في الكلام، فكل شيء تقريباً قلته قبل قليل، كان يمكن للمرء، لو لم تكن قد قلت سوى بضع كلمات، أن يفهمه من تصرفك، وفوق ذلك لم يكن كلامك لصالحك في شيء».

وحملق ك في المراقب. هل تلقى هنا دروساً مدرسية من إنسان قد يكون أصغر سناً منه؟ وهل عوقب بتوبيخ لصراحته؟ ولم يعلم شيئاً عن سبب اعتقاله وعمن كلف به؟ وداخله نوع من القلق، فراح يتمشّي جيئةً وذهاباً، دون أن يعوقه أحد عن ذلك، وسحب أكمام قميصه إلى الوراء، وتحسس صدره، ومسّد شعره، ومزّ بالرجال الثلاثة، وقال «لا جدوى حقاً»، فاستدار هؤلاء نحوه ونظروا إليه بلطف لكن نظرة جدّية، وتوقف أخيراً مرة أخرى أمام طاولة المراقب، وقال: «النائب العام هسترر، صديق جيد لي، هل في مقدوري أن أخابره؟». «بلاشك»، قال المراقب، «لكنني لا أدري أي معنى يمكن أن يكون لهذا، أو ينبغي أن يكون عليك أن تحدّثه في مسألة شخصية ما». «أي معنى؟» صاح ك مندهشاً أكثر من أن يكون غاضباً. «من أنتم إذاً؟ تريدون معنى وتقومون بما لا أقل منه معنى في العالم؟ أليس هذا مما يقطّع نياط القلب؟ لقد داهمني السادة أولاً، والآن يجلسون أو يقفون هنا متسكعين ويدعونني أستعرض أمامهم مقدرتي. أي معنى لمخابرة مُدّعي عام إذا كنت معتقلاً كما يقال؟ حسناً، لن أخابره». «بلى»، قال المراقب ومدّ يده إلى الحجرة الأمامية حيث كان الهاتف، «لتخابر من فضلك». «لا، لأأريد

بعد الآن»، قال ك وذهب إلى النافذة. في الجانب الآخر كانت الجماعة مازالت تقف قرب النافذة، وبدأت الآن فقط باقتراب ك وقد أزعجت بعض الشيء في هدوء تفرّجها. وهمّ العجوزان بالنهوض، لكن الرجل خلفهما هدأ من روعهما. «هناك أيضاً مثل هؤلاء المتفرجين»، صاح ك بصوت عال جداً منادياً المراقب، وأشار بسبابته إلى الخارج. ونادى إلى الجهة المقابلة، «ابعدوا من هناك». وفي الحال تراجع الثلاثة بضع خطوات، بل تراجع العجوزان إلى ما وراء الرجل الذي واراهاما بجسمه العريض، ودلت حركات فمه أنه قال شيئاً ما غير مفهوم من بعيد. لكنهم لم يتواروا كلياً، بل ظهر عليهم أنهم ينتظرون اللحظة التي قد يمكنهم فيها أن يقتربوا في غفلة من النافذة مرة أخرى. «ناس متطقلون، فظّون!» قال ك وهو يستدير عائداً إلى الحجرية. ومن الممكن أن المراقب قد وافقه، كما ظن ك أنه لاحظ ذلك بنظرة جانبية. غير أنه من الممكن أيضاً ألا يكون قد سمع مطلقاً، إذ أنه كان قد ضغط يداً على الطاولة، وبدا عليه أنه يقارن الأصابع حسب طولها. كان الحارسان يجلسان على حقيبة مغطاة بغطاء مزخرف ويحكّان ركبهما. وكان الشبان الثلاثة يضعون أيديهم على خواصرهم، ويجولون بأبصارهم في غير ما هدف. وكان الهدوء يسود مثلما في مكتب منسيّ ما. «والآن يا سادتي»، نادى ك، وقد بدا عليه طوال لحظة كأنه يحمل الجميع على كتفيه، «حسب مظهركم يفترض أن مسألتي قد انتهت. وأنا أرى أنه من الأفضل عدم التفكير بعد الآن في مشروعية أو لامشروعية تصرفكم، وأن ننهى المسألة نهاية تصالّح بمصافحة متبادلة. إذا كنتم ترون رأيي، فأرجو...». وتقدم إلى طاولة المراقب ومدّ له يده. رفع المراقب عينيه، عضّ على شفتيه، ونظر إلى يد ك الممدودة؛ وكان ك مازال يظن أن المراقب سيصافحه. لكن هذا نهض واقفاً، تناول قبعة قاسية مستديرة كانت على سرير الأنسة بورستتر، ووضعها على رأسه بحذر وبكلتا يديه، كما يفعل

المرء لدى تجريب القبعات الجديدة. وأثناء ذلك قال لـ ك: «كم يبدو لك كل شيء بسيطاً! ترى أنه علينا أن ننهي المسألة نهايةً تصالُح؟ لا، لا، هذا لا يمكن فعلاً. علماً أنني من ناحية أخرى لا أريد بأي حال أن أقول بأن عليك أن تياس. لا، لماذا إذاً؟ إنك معتقل فحسب، ولا شيء آخر. كان عليّ أن أعلمك هذا، وقد فعلت ذلك، ورأيت أيضاً كيف تلقيت البلاغ. وهذا يكفي اليوم، ويمكننا أن نودّع بعضنا بعضاً، لكن مؤقتاً فحسب. سترغب الآن ولاشك أن تذهب إلى المصرف؟». «إلى المصرف؟»، سأل ك. «ظننت أنني معتقل». سأل ك بشيء من التحدي، إذ أنه، رغم عدم قبول مصافحته، شعر، وخاصة منذ أن نهض المراقب، باستقلالية أكثر فأكثر عن جميع هؤلاء الناس. كان يلعب معهم. وكان ينوي، إذا ما انصرفوا، أن يجري وراءهم ويعرض عليهم اعتقاله. لذا كرر أيضاً: «كيف يمكنني أن أذهب إلى المصرف وأنا معتقل؟». «أوه»، قال المراقب الذي كان قد بلغ الباب، «لقد أسأت فهمي، أنت معتقل، لاريب، لكن على هذا ألا يعيقك عن تأدية وظيفتك. كما عليك أيضاً ألا تعاق في طريقة حياتك العادية». «كوني معتقلاً ليس شديد السوء إذاً»، قال ك واقترب من المراقب. وقال هذا: «لم أقصد شيئاً آخر قط». «ولاحتى إبلاغ الاعتقال إذاً يبدو أنه كان ضرورياً للغاية»، قال ك واقترب أكثر. وكان الآخرون أيضاً قد اقتربوا. وأصبح الجميع الآن مجتمعين في بقعة صغيرة عند الباب. «كان هذا واجبي»، قال المراقب. «واجب سخيف»، قال ك بتشدد. «ربما»، أجاب المراقب، «لكننا لانريد أن نضيع وقتنا بمثل هذا الكلام. كنت أظن أنك ترغب في الذهاب إلى المصرف. وإذا أنك تتبه إلى كل الكلمات، أضيف: إنني لا أجبرك على الذهاب إلى المصرف، لقد ظننت فحسب أنك تريد ذلك. ولتسهيل هذا عليك وجعل وصولك إلى المصرف غير ملفت للنظر، وضعت تحت تصرفك هنا هؤلاء السادة الثلاثة زملاءك». «كيف؟» صاح ك

ونظر إلى الثلاثة مندهشاً. هؤلاء الشبان غير المميّزين المصابين بفقر الدم والذين مازال يتذكّره فقط كمجموعة تقف عند الصور، كانوا فعلاً مستخدمين من مصرفه، ليس زملاء، كان هذا مبالغة، ودلّ على وجود ثغرة في علم المراقب الشامل، لكنهم كانوا مستخدمين صغاراً من المصرف. كيف تعذّر على ك أن يلحظ ذلك؟ كم كان لابدّ قد استؤثر به، من قبل المراقب والحارسين، حتى لا يتعرف على هؤلاء الثلاثة. رابنشتاينر مشدود القامة الملوّح بيديه، وكوليش الأشقر ذي العينين الغائرتين، وكامينر ذي الابتسامة السنجية الناشئة من تقلص عضلات مزمن. «صباح الخير!» قال ك بعد فترة وجيزة ومدّ يده إلى الرجال الذين انحنوا انحناء مؤدبة. «لم أعرف عليكم أبداً. والآن سوف نشرع بالعمل إذا، أليس كذلك؟». وأوماً الرجال ضاحكين متحمسين، وكأنهم كانوا ينتظرون ذلك طوال الوقت؛ و فقط عندما افتقد ك قبعته التي كانت قد ظلت في حجرتة، جروا جميعاً وراء بعضهم لكي يحضرونها، الأمر الذي دلّ على كل حال على شيء من الارتباك. ووقف ك ساكناً وتابعهم بنظره عبر البابين المفتوحين، وأخرهم كان طبعاً رابنشتاينر اللامبالي، الذي مشى مشية خبيب رشيقة. وناول كامينر القبعة إلى ك، وكان على هذا أن يؤكد لنفسه، كما كان الحال عليه في المصرف أيضاً مراراً، أن ابتسامة كامينر ليست قصداً، لا بل ليس في مقدوره أن يتسم عن قصد إطلاقاً. وفي الحجرة الأمامية فتحت، من ثم، السيدة غروباخ التي لم يبدو عليها أنها على شعور كبير بذنب، الباب للجماعة كلها، ونظر ك، كما فعل كثيراً، إلى حزام مريلتها الذي كان يحزّ عميقاً، بلا ضرورة، في جسمها الضخم. وفي الخارج قرر ك، وساعته في يده، أن يستقلّ سيارة لكي لا يزيد تأخره، الذي بلغ نصف ساعة، بغير موجب. وجرى كامينر إلى الناصية كي يحضر السيارة، وحاول الآخرون، كما يبدو، إشغال ك، إذ أشار كوليش فجأة إلى باب البيت المقابل الذي

ظهر فيه لتوّ الرجل ذو اللحية المدبية الشقراء، وشعر في اللحظة الأولى بارتباك لظهوره الآن بكامل طوله، فارتدّ إلى الخائط واستند إليه. والراجح أن العجوزين كانا لا يزالان على الدرج. واغتاظك من كوليّش لأن هذا لفت نظره إلى الرجل الذي كان قد رآه قبله، لا بل أنه حتى كان يتوقع ظهوره. «لاتنظر إلى هناك»، قال بعنف دون أن يلاحظ كم هي ملفتة للنظر مثل طريقة الحديث هذه إزاء رجال مستقلّين. لكن لم يكن ثمة ضرورة لإيضاح، إذ أقبلت السيارة في هذه اللحظة، فجلسوا وانطلقوا. وهنا تذكّر ك أنه لم يلاحظ أبداً انصراف المراقب والحارسين؛ كان المراقب قد حجب المستخدمين الثلاثة عنه، والآن حجب المستخدمين المراقب. ولم يدلّ هذا على كثير من حضور البديهة، وعقدك العزم على مراقبة نفسه في هذا الخصوص بدقة أكثر. ومع ذلك استدار من غير عمد وانحنى فوق مؤخرة السيارة علّه يرى المراقب والحارسين. غير أنه عاد إلى وضعه الأول دون أن يكون قد حاول مجرد محاولة أن يبحث عن أحد، واتكأ باسترخاء في ركن السيارة. ورغم أن ذلك لم يلوح عليه، كان بحاجة، الآن بالذات، إلى تطيب خاطر، لكن الرجال بدوا متعبين، كان رابنشتاينر ينظر يمينا من السيارة، وكوليّش يساراً، وكامينر وحده كان رهن التصرف، بتكشيرته، التي لاتسمح الإنسانية مع الأسف بالضحك عليها.

مدعي عام

رغم الفراسة في الناس والخبرة في الحياة، اللتين كان ك قد اكتسبهما طيلة مدة خدمته في المصرف، كانت مجموعة المقهى المداومة تبدو له دائماً جديرة بالاعتبار جداً، ولم ينكر قط إزاء نفسه أنه شرف كبير له أن ينتمي إلى مثل هذه المجموعة. كانت تضم فقط تقريباً قضاة ومدعين عموميين ومحامين، وكان قد قُبل فيها أيضاً بعض الموظفين من صغار السن ومساعدتي المحامين، غير أن هؤلاء كانوا يجلسون في آخر الطاولة ولا يجوز لهم التدخل في النقاشات إلا عندما توجّه إليهم أسئلة خاصة. لكن لم يكن لمثل هذه الأسئلة من غرض، في الغالب، سوى تفكيه الجماعة؛ وعلى الأخص المدعي العام هسترر، الذي كان في العادة جار ك، كان يحب تخجيل السادة الشبان بهذه الطريقة. وعندما كان يضع يده كثة الشعر وقد فرد أصابعها على وسط الطاولة، ويتوجه إلى آخر الطاولة، كان الجميع يرهفون آذانهم. وحين كان أحدهم هناك، من ثم، يتلقى السؤال، لكن إما أنه لم يتمكن حتى من فهم لغزه أو أنه راح ينظر إلى جعته مفكراً أو بدلاً من أن يتكلم راح ينهج بفكيه أو حتى - وهذا كان الأسوأ - فاض في كلام لا ينقطع نادى فيه برأي خاطئ أو غير معتمد، كان السادة الكبار، من ثم،

يستديرون في مقاعدهم وهم يتسمون وقد بدا لهم أن الأمر لم يصبح مريحاً إلا الآن. أما الأحاديث الاختصاصية الجدية فعلاً فقد كانت تظل محفوظة لهم وحدهم.

وكان قد جيء بك إلى هذه المجموعة من قبل محامي هو وكيل المصرف. وكان ثمة وقت توجب فيه على ك ان يجري مع هذا المحامي في المصرف محادثات مطولة حتى ساعة متأخرة من المساء، ومن ثم اقتضت المناسبة من تلقاء ذاتها أن تناول مع المحامي طعام العشاء سوية على مائدته الثابتة، وارتاح إلى المجموعة. لقد رأى هنا مجرد رجال وجهاء، ذوي علم، أقياء بمعنى ما، ينحصر استجمامهم بأن يبحثوا عن حل مسائل صعبة لاتصل بالحياة العادية سوى عن بُعد، ويجهدوا أنفسهم في ذلك. وإذا لم يكن في مقدوره نفسه أن يتدخل طبعاً سوى قليلاً، فإنه حصل على فرصة أن يعلم أموراً كثيرة، الأمر الذي استطاع أن يجلب له أجلاً أم عاجلاً منفعة في المصرف أيضاً، وبالإضافة إلى ذلك استطاع أن ينشئ علاقات شخصية مع المحكمة كانت مفيدة دائماً. لكن الجماعة أيضاً بدت أنها تقبله برغبة. وسرعان ما اعترف به خبيراً مهنيًا، واعتبر رأيه في مثل هذه الأمور - وإن لم يجر ذلك بلا سخرية كلياً - شيئاً لاينقض. ولم يكن من النادر أن يحدث أن يبدي اثنان رأيين مختلفين في مسألة قانونية، ويطلبان رأي ك في الواقعة، فيتردد اسم ك من ثم في جميع الكلمات والردود عليها ويدخل إلى أكثر الأبحاث تجريداً والتي لم يعد ك منذ فترة طويلة قادراً على متابعتها. لكن أموراً كثيرة توضحت له تدريجياً، ولاسيما أنه كان له في المدعي العام هسترر مستشاراً جيداً إلى جانبه، والذي اقترب منه أيضاً بشكل ودي. حتى أن ك كان يرافقه ليلاً في الطريق إلى البيت. غير أنه لم يستطع أن يعتاد أبداً على أن يسير ذراعاً بذراع إلى جانب الرجل العملاق، الذي كان

من شأنه أن يستطيع إخفائه في معطفه الفضفاض بشكل غير ملفت للنظر إطلاقاً.

لكن بمرور الأيام أصبحا يجتمعان هكذا بحيث زالت كل فروق الثقافة والمهنة والسن. وكانا يتعاملان مع بعضهما بعضاً وكأنهما ينتميان إلى بعضهما بعضاً من البداية، وإذا كان أحدهما يبدو أحياناً متفوقاً في الظاهر، فلم يكن ذلك هسترر وإنما ك، إذ أن خبراته العملية كانت في الغالب على صواب، وذلك لأنها كانت قد اكتسبت بطريقة مباشرة، الأمر الذي لا يمكنه أن يحدث أبداً انطلاقاً من طاولة المحكمة.

وسرعان ما أصبحت هذه الصداقة معروفة طبعاً على طاولة الرواد الدائمين، ونُسي تقريباً من كان قد جاء بك إلى المجموعة، والآن كان هسترر على كل حال هو الذي يرمى ك؛ وإذا ما نشأ شك بحق ك في الجلوس هنا، فإنه سيكون في مقدوره أن يعتمد على هسترر حقاً. غير أن ك نال بذلك حظوة خاصة، إذ أن هسترر كان محترماً مثلما كان مرهوباً. صحيح أن قوة وبراعة تفكيره الحقوقي كانت جديرة بالإعجاب الشديد، لكن كثيرين من السادة كانوا في هذا المجال أنداداً له على الأقل، إلا أن أحداً منهم ما كان يبلغ مبلغه في العنف الذي يدافع به عن رأيه. وبدلاً من أن هسترر عندما لا يستطيع إقناع خصمه، فإنه يثير الخوف في نفسه على الأقل؛ وكان كثيرون يتراجعون حتى أمام سبابته المرفوعة. كان الحال وكأن من شأن الخصم نسيان أنه كان برفقة معارف وزملاء طيبين، وأن الموضوع إنما يدور حول مسائل نظرية ليس إلا، وأنه في الحقيقة لا يمكن أن يحدث له أي شيء بحال من الأحوال... لكنه كان يلوذ بالصمت، وهزة رأس كانت على كل حال جراً. وكان الأمر منظرًا محرراً، إذا ما جلس الخصم بعيداً، وأدرك هسترر أنه لا يمكن أن يحصل اتفاق من بعيد، وأزاح الآن، على سبيل

المثال، الصحن مع الطعام إلى الورا، ونهض ببطء كي يذهب إلى الرجل بنفسه. والذين كانوا قريين أحنوا رؤوسهم إلى الورا كي يشاهدوا وجهه. لكن هذه كانت حوادث عرضية نادرة نسبياً، وقبل كل شيء لم يكن يثور إلا بخصوص مسائل حقوقية وحدها تقريباً، وعلى وجه التحديد بخصوص مثل هذه المسائل التي تتعلق بالمحاكمات التي كان قد تولّاها بنفسه أو يتولّاها. وإذا لم يكن الموضوع يتعلق بمثل هذه المسائل، فإنه كان ودوداً وهادئاً، وضحكته كانت لطيفة، وولعه يخص الطعام والشراب. بل وكان يمكن أن يحدث ألا يستمع إلى الحدث العاديّ أبداً، وإنما يتوجه إلى ك، ويضع ذراعه فوق ظهر كرسيه، ويسأله عن المصرف بصوت منخفض، ثم يتحدث عن عمله هو، أو يحكي أيضاً عن معارفه من النساء، اللواتي يتعبنه مثلما تتعبه المحكمة. ولم يره المرء يتحدث مع أحد آخر في المجموعة على هذا النحو، وفعلاً كان المرء كثيراً ما يأتي، إذا ما أراد أن يرجو من هستر شيئاً - في الغالب كان المطلوب مصالحة زميل -، أول ما يأتي إلى ك، ويرجو وساطته، التي كان يقدمها دائماً برغبة ويُسّر. وكان، بعامة، ودون أن يستغل في هذا المجال علاقته مع هستر، في غاية اللطف إزاء الجميع ومتواضعاً، وعرف، الأمر الذي كان أكثر أهمية من اللطف والتواضع، كيف يميز بشكل صحيح بين تدرج مراتب السادة، ويعامل كلاً منهم طبقاً لمرتبته. غير أن هستر كان دائماً وأبداً يعلمه في هذا المجال، وكانت هذه هي التعليمات الوحيدة التي لم يكن هستر يخلّ بها حتى في أكثر النقاش حدة. ولذا فقد كان دائماً يوجه أيضاً إلى السادة الشبان في آخر الطاولة، الذين كانوا لا يزالون لا يملكون مرتبة تقريباً، خطباً عامة ليس إلا، وكانهم ليسوا أفراداً، وإنما مجرد كتلة مجمّعة. لكن هؤلاء السادة بالذات كانوا يقدمون له أكبر احترام، وعندما كان ينهض في نحو الساعة الحادية عشرة

كي يذهب إلى البيت، كان أحدهم يأتي على الفور ويساعده لدى ارتدائه معطفه الثقيل، ويأتي ثان ويفتح الباب أمامه وهو يقوم بانحناء كبيرة، ويقيه مفتوحاً طبعاً عندما يغادر ك الحجره وراء هسترر.

في حين كان ك يرافق هسترر في الفترة الأولى أو كان أيضاً هذا يرافق ك مسافةً من الطريق، كانت مثل هذه السهرات فيما بعد تنتهي عادةً بأن يطلب هسترر من ك أن يأتي معه إلى مسكنه ويمكث لديه فترة وجيزة. وكانا يجلسان، من ثم، ساعةً يتناولان فيها الخمر ويدخانان السيجار. وكان هسترر يسرّ بهذه السهرات لدرجة أنه لم يشأ أن يستغني عنها حتى عندما أقامت لديه بضعة أسابيع امرأة تدعى هيلينه. كانت امرأةً بدينة لم تعد فتية، ذات بشرة ضاربة للصفرة وشعر أسود تجعدت خصلاته حول جبينها. ولم يكن ك يراها في البداية سوى في الفراش، كانت في العادة تضطجع هناك بطريقة خليعة وتقرأ روايةً مسلسلّة ولاتهتم بحديث الرجلين. وعندما كان الوقت يتأخر، كانت تستلقي متثابرةً وتقذف هسترر بجزء من روايتها إذا لم تتمكن من لفت الانتباه إليها بطريقة أخرى. وفي هذه الحالة كان هسترر ينهض مبتسماً، وينصرف ك مودعاً. ولكن عندما بدأ هسترر فيما بعد يسأم هيلينه، أصبحت تزعج اللقاءات إزعاجاً شديداً. وراحت الآن دائماً تنتظر الرجلين وهي ترتدي كامل ملابسها، وعلى وجه التحديد ثوباً كانت تعتبره على الأرجح ثميناً للغاية ومناسباً، غير أنه في الحقيقة كان ثوباً للرقص قديماً مترفاً يدعو للاستنكار بنوع خاص إذ تزينه عدة صفوف من الكنارات الطويلة. ولم يكن ك يعرف مظهر هذا الثوب بالتحديد، وكان يأبى نوعاً ما أن ينظر إلى المرأة، ويجلس طوال ساعات وقد أطرق الطرف نصف إطراقة، حين كانت تتهدى في الحجره أو تجلس بالقرب منه، وفيما بعد عندما أصبح مركزها دائماً أقل ثباتاً، بل وحاولت في شدتها إثارة الغيرة في نفس

هستير بتفضيلها ك عليه. كان الأمر حاجةً وليس خبثاً، عندما كانت تستند إلى الطاولة بظهرها العاري المكتنز السمين وتدني وجهها من ك هادفةً إلى إرغامه على النظر إليها. ولم تحقق بذلك سوى أن امتنع ك في النهاية عن الذهاب إلى هستر، وعندما حضر مرة أخرى بعد بعض الوقت، كانت هيلينه قد صُرفت نهائياً. وقد تقبل ك الأمر على أنه أمر بديهي. وفي هذه السهرة طال مجلسهما بنوع خاص، واحتفلاً بالخطابة بصيغة المفرد بناءً على اقتراح هستر، وكان ك في طريقه إلى البيت يكاد يحسّ بخدرٍ بعض الشيء نتيجة التدخين والشرب.

في الصباح التالي بالذات أبدى المدير في المصرف في سياق حديث عمل ملاحظة بأنه يظن أنه رأى ك مساء أمس، وأنه إذا لم يخطئ الظن كان ك يسير متأبطاً ذراع المدعي العام. وبدا أن المدير إنما يجد هذا الأمر غريباً بحيث أنه - لكن ذلك كان يتفق أيضاً مع دقته المعهودة - ذكر الكنيسة التي حدث ذلك اللقاء بمحاذاة جانبها الطولي بالقرب من النافورة. ولو أراد أن يصف سراياً، لما استطاع أن يعبر عن ذلك بطريقة أخرى. وأوضح ك له الآن أن المدعي العام صديقه وأنهما فعلاً مرّوا بالكنيسة مساء أمس. وابتسم المدير مستغرباً، ودعا ك للجلوس. كانت لحظة من تلك اللحظات التي كان ك يحب المدير بسببها، لحظات ظهر فيها من هذا الرجل الواهن، المريض الذي يسعل سعالاً خفيفاً والمثقل بعمل ذي أكبر مسؤولية، اهتمام ما بخير ك ومستقبله، لكنه اهتمام يمكن وصفه حسب نوع موظفين آخرين كانوا قد لقوا لدى المدير شيئاً مماثلاً بأنه اهتمام بارد وظاهري لا يزيد عن كونه أداة ناجحة لربط موظفين ذوي قيمة طوال سنوات بالتضحية بدقيقتين من الوقت... ومهما كان الحال، فإن ك كان يخضع للمدير في هذه اللحظات. وربما تحدث المدير مع ك على نحو مغاير

عن حديثه مع الآخرين، إذ أنه لم ينس مثلاً مركزه العالي، لكي يصبح بهذه الطريقة على درجة واحدة مع ك - وهذا ما كان يفعله بالأحرى بشكل منتظم في تعامل العمل العادي - لكنه هنا بدا أنه نسي بالذات مركز ك، وتحدث معه كما يتحدث مع طفل أو مع شاب جاهل يتقدم للمرة الأولى بطلب للحصول على عمل ويفوز برضى المدير لسبب ما غير مفهوم. ومن المؤكد أنه لم يكن من شأن ك أن يقبل مثل طريقة الكلام هذه لا من شخص آخر ولا من المدير نفسه، لو لم يظهر له اهتمام المدير صادقاً، أو لو لم يسحره كلياً على الأقل احتمال وجود هذا الاهتمام كما ظهر له في مثل هذه اللحظات. وأدرك ك ضعفه؛ وربما كان سببه يعود إلى أن، في هذا الخصوص، شيئاً طفولياً حقاً مازال يكمن فيه، وذلك لأنه لم يعرف قط اهتمام والده الحقيقي الذي كان قد توفي في سن باكراً، ولم يلبث ك أن غادر البيت بعد أن كان قد رفض بالأحرى دائماً حنان الأم أكثر من أن يكون قد استدرجه من والدته التي مازالت تعيش، وهي شبه ضريرة، في المدينة الصغيرة البعيدة التي لا تتغير.

«عن هذه الصداقة لم أكن أعرف شيئاً»، قال المدير. ولم يخفف من حدة هذه الكلمات سوى ابتسامة ودية واهنة.

الآنسة بورستتر

في هذا الترتيب اعتاد ك أن يمضي أسياته على نحو يسمح له بالقيام بعد العمل، إذا كان ذلك مازال ممكناً - كان يجلس في معظم الأحيان لغاية الساعة التاسعة في المكتب - بمشوار صغير وحيداً أو مع معارف، ثم يذهب إلى حانة جمعة حيث يجلس إلى مائدة زبائن دائمين مع سادة متقدمين في السن غالباً، لغاية الساعة الحادية عشرة في العادة. وكان ثمة استثناءات من هذا التقسيم، إذا ما دعي ك مثلاً من قبل مدير المصرف، الذي كان يقدر عالياً قدرته على العمل وجدارته بالثقة، إلى نزهة بالسيارة أو إلى طعام عشاء في دارته. وفوق ذلك، كان ك يذهب مرة في الأسبوع إلى فتاة تدعى إلزا، كانت أثناء الليل وحتى ساعة متأخرة من الصباح تقوم بالخدمة كنادلة في حانة نبيذ وأثناء النهار لاستقبال ضيوفاً إلا وهي في فراشها.

لكن في هذا المساء - كان اليوم قد مضى بسرعة في عمل مضين وتمنيات عيد ميلاد كثيرة وذية مكرمة - أراد ك أن يذهب إلى البيت على الفور. وكان قد فكر بذلك في كل فترات الاستراحة الصغيرة التي تخللت العمل اليومي؛ ودون أن يعرف بدقة ماذا يعني، بدا له أن وقائع الصباح قد أحدثت اضطراباً كبيراً في منزل السيدة غروباخ كله، وأنه هو بالذات ضروري لإعادة النظام. أما إذا أعيد هذا النظام مرة، فيكون كل أثر لتلك

الوقائع قد زال، وكل شيء استأنف سيرته الأولى. وعلى الأخص من المستخدمين الثلاثة لم يكن يُخشى شيئاً، فقد عادوا إلى الغرق في جهاز الموظفين الكبير، ولم يكن بالإمكان ملاحظة أي تغيير طرأ عليهم. وكثيراً ما استدعاهم إلى مكتبه فرادى وسوياً لا لغرض آخر سوى مراقبتهم؛ ودائماً كان يستطيع أن يصرفهم وهو راضٍ.

عندما وصل في الساعة التاسعة والنصف مساءً إلى أمام البناية التي يسكن فيها، التقى على بابها غلاماً صغير السن يقف هناك مفتوح الرجلين ويدخن غليوناً. «من أنت؟» سأل ك على الفور وقرب وجهه من الغلام، إذ لم يكن يُرى الكثير في غَبَش المدخل. «أنا ابن المشرف على البناية ياسيدي»، أجاب الغلام، وأخذ الغليون من فمه وانتحى جانباً. «ابن المشرف؟» سأل ك وطرق الأرض بعصاه وهو نافذ الصبر. «هل يرغب السيد الكريم شيئاً؟ هل عليّ أن أحضر الوالد؟». «لا، لا»، قال ك وفي صوته شيء من المعذرة، كما لو كان الغلام قد ارتكب خطأً لكن هو يعذره. «لأبأس»، قال وتابع سيره، لكنه قبل أن يصعد الدرج، استدار مرة أخرى.

كان في مقدوره أن يذهب مباشرة إلى حجرته، لكنه إذ كان يريد أن يتحدث مع السيدة غروباخ، فقد طرق بابها رأساً. كانت تجلس وهي تحيك جورباً إلى الطاولة التي كان عليها كومة من الجوارب العتيقة. واعتذر ك وهو مشتت الفكر لمجيئه في هذا الوقت المتأخر، لكن السيدة غروباخ كانت لطيفة جداً وأبت أن تسمع اعتذاراً: يستطيع أن يأتي إليها في كل وقت، وهو يعلم جيداً جداً أنه أفضل وأحب مستأجر لديها. أدار ك بصره في الحجرة، كانت قد عادت إلى حالتها القديمة بشكل كامل، وأواني طعام الفطور التي كانت صباحاً على المنضدة الصغيرة قرب النافذة كانت قد رفعت أيضاً. وفكر أن أيدي النساء تفعل الكثير في الخفاء، ربما كان هو

خليقاً أن يحطم الأواني في الحال لكن بالتأكيد لا أن يحملها إلى خارج
الحجرة. ونظر إلى السيدة غروباخ نظرة فيها شيء من الامتنان، وسألها:
«لماذا تعملين حتى هذا الوقت المتأخر؟». وكان الاثنان يجلسان الآن إلى
الطاولة، وراح ك يدفن يده بين فينة وأخرى في الجوارب. «ثمة عمل كثير»،
قالت السيدة غروباخ، «أثناء النهار أكرس نفسي للمستأجرين؛ وعندما أريد
ترتيب حاجياتي، فلا يبقى لي سوى الأماسي». «لقد سببت لك اليوم عملاً
غير مألوف». «لماذا إذا؟» سألت وقد ازداد اهتمامها بعض الشيء وتوقفت
عن العمل وتركت أدواتها في حضنها. «أعني الرجال الذين كانوا هنا
صباح اليوم». «آه»، قالت وعادت إلى هدوئها، «لم يسبب لي هذا عملاً
خاصاً». وراقب ك بصمت كيف عادت إلى حياكة الجورب، وفكر: «يبدو
أنها تعجب أنني أتحدث عن ذلك، ويبدو أنها لا ترى أنه من المناسب أن
أتحدث عن ذلك. وهذا يزيد أهمية أن أفعل. ولا أستطيع أن أتحدث عن
ذلك سوى مع امرأة عجوز». ثم قال: «بلى، لاشك أنه سبب عملاً، لكن
الأمر لن يحدث مرة أخرى». «لا، لا يمكن لهذا أن يحدث مرة أخرى»،
قالت مؤيدة وابتسمت لك بحنان تقريباً. «هل تعنين هذا حقاً؟» سأل ك.
«نعم»، قالت بصوت أكثر انخفاضاً، «لكن قبل كل شيء لا يجوز لك أن
تأخذ الأمر مأخذاً صعباً. ما أكثر ما يحدث في العالم! وإذا أنك تتحدث
معي بائتمان هكذا يا سيدك، فإنني لأستطيع الاعتراف لك أنني استرقت
السمع قليلاً من وراء الباب وأن كلا الحارسين أيضاً روبا لي بعض الشيء.
إن الموضوع يتعلق حقاً بسعادتك، وهذا يهمني فعلاً، وربما أكثر مما يحق
لي، إذ أنني لست سوى المؤجرة. لقد سمعت إذاً أشياء، لكن لا أستطيع أن
أقول إن الأمر كان شيئاً سيئاً بشكل خاص. لا. صحيح أنك معتقل، لكن
ليس كما يعتقل لص. عندما يعتقل المرء مثل لص، يكون ذلك سيئاً، لكن
هذا الاعتقال... إنه يبدو لي مثل شيء من شؤون ذوي العلم، اعذرني إذا

كنت أقول شيئاً سخيفاً، يبدو لي مثل شيء من شؤون ذوي العلم، صحيح إنني لا أفهمه، لكن أيضاً لا يجب على المرء أن يفهمه».

«ليس شيئاً سخيفاً أبداً ما قلته يا سيده غروباخ، على الأقل أنا أيضاً أرى رأيك إلى حد ما، إلا أنني أحكم على الأمر كله بشدة أكثر منك، ولا أعتبره حتى شيئاً من شؤون ذوي العلم وإنما لاشيء على الإطلاق. لقد أخذت على غيرة، هذا هو الحال. ولو كنت قد نهضت فور استيقاظي، دون أن يربكني غياب أنا، وذهبت إليك دون مراعاة أي شخص يعترض طريقي، وتناولت هذه المرة استثناءً طعام الفطور في المطبخ، وتركتك تحضرين لي قطع الملابس من حجرتي، وإيجازاً لو تصرفت بحكمة، لما حدث شيء، ولاختنق كل ما أراد أن يصير شيئاً. لكن المرء غير مهياً كثيراً. في المصرف مثلاً أكون مهياً، ومن المحال أن يكون من شأن شيء كهذا أن يحدث لي هناك، حيث لدي هناك خادم خاص بي، والهاتف العام وهاتف المكتب أمامي على الطاولة، وعلى الدوام يأتي ناس وقرقاء وموظفون؛ لكن بالإنسافة إلى ذلك وقبل كل شيء أكون هناك دائماً في سياق العمل، لذا فإنني أكون حاضر البديهة، وسيكون من دواعي سروري أن أواجه هناك بمثل هذه القضية. والآن انتهى الموضوع، كما لم يكن بوذي في الواقع أن أتحدث عنه أبداً بعد الآن، لم يكن بوذي سوى أن أسمع حكمك، حكم سيده عاقلة، ويسعدني جداً أننا نتفق في ذلك. لكن عليك الآن أن تمدّي لي يدك، لا بدّ لمثل هذا التوافق أن يتعرّز بمصافحة».

فيما إذا كانت ستمدّ لي يدها؟ المراقب لم يمدّ لي يده، فكر ونظر إلى المرأة على نحو مغاير عن السابق، نظر إليها متفحصاً. ونهضت، لأنه هو أيضاً كان قد نهض، وكانت مرتبكة بعض الشيء، وذلك لأن ليس كل ما كان ك قد قاله كان مفهوماً لها. لكن نتيجة هذا الارتباك قالت شيئاً لم

تكن تريد أن تقوله، كما أنه لم يكن مناسباً قط: «لأتأخذ الأمر مأخذاً صعباً هكذا يا سيدك»، قالت بصوت منتحب ونست طبعاً المصافحة أيضاً. «لأعرف أنني آخذ الأمر مأخذاً صعباً»، قال ك وقد شعر بالتعب فجأة وأدرك لاقيمة كل موافقات هذه المرأة.

ولدى الباب سأل سؤالاً آخر: «هل الأنسة بورستتر في البيت؟». «لا»، قالت السيدة غروباخ وابتسمت مع هذا الجواب الجاف ابتسامة تنم عن تعاطف متأخر سليم. «إنها في المسرح. هل كنت تريد منها شيئاً؟ هل عليّ أن أبلغها شيئاً؟». «آه، كنت أريد أن أتكلم معها بضع كلمات فحسب». «لا أدري مع الأسف متى ستأتي؛ عندما تكون في المسرح، تأتي عادة في وقت متأخر». «هذا سيئان كلياً»، قال ك وأدار رأسه المنكسة صوب الباب كي ينصرف، «كنت أريد فحسب أن أعتذر لها لأنني شغلت اليوم حجرتها». «لاداعي لذلك، يا سيدك، إنك تراعي الآخرين أكثر من اللازم، إن الأنسة لاتعرف عن الأمر شيئاً، ولم تكن في البيت منذ الصباح الباكر، كما أن كل شيء قد رُتب، انظر بنفسك». «شكراً، إنني أصدق»، قال ك وذهب رغم ذلك إلى الباب المفتوح. وكان القمر يضيء بهدوء الحجرة المظلمة، وعلى قدر ما استطاع المرء أن يرى، كان كل شيء فعلاً في مكانه، والبلوزة أيضاً لم تكن معلقة بعد على مقبض النافذة. وبدت الوسائد في الفراش عالية بشكل ملفت للنظر، وكان بعضها يقع في ضوء القمر. «الآنسة تأتي غالباً إلى البيت في وقت متأخر»، قال ك ونظر إلى السيدة غروباخ وكأنها تحمل مسؤولية ذلك. «مثلما هو الجيل الناشئ!» قالت السيدة غروباخ معتذرة. «لاريب، لاريب»، قال ك، «لكن من الممكن أن يجاوز الأمر حدّه». «هذا يمكن»، قالت السيدة غروباخ، «كم أنت على حق يا سيدك. وربما حتى في هذه الحالة. يقيناً لا أريد أن أفترى على الأنسة

بورستتر، إنها فتاة طيبة، ظريفة، لطيفة، مرتبة، تحافظ على مواعيدها، مجدة، وأنا أقدر كل هذا للغاية، لكن هناك شيء صحيح، وهو أنه عليها أن تكون أكثر إباءً وتحفظاً. لقد رأيتها في هذا الشهر مرتين في شوارع بعيدة منعزلة وفي كل مرة مع رجل آخر. إن الأمر يحرجني غاية الإحراج، ولا أرويه قسماً بالله سوى لك يا سيدك، لكن لن يكون بالإمكان تفادي أن أتحدث أيضاً مع الأنسة بورستتر نفسها عن الموضوع. وللمناسبة، ليس هذا هو الشيء الوحيد الذي يجعلها مثاراً لشكوكي». «إنك على طريق خاطئة كلياً»، قال ك بغضب ودون أن يكون قادراً تقريباً على إخفاء غضبه، وللمناسبة، يبدو أيضاً أنك أسأت فهم ملاحظتي عن الأنسة، فأنا لم أقصد هكذا. بل إنني أحذرك مخلصاً من أن تقولي للأنسة أي شيء، إنك على خطأ ولاريب، وأنا أعرف الأنسة جيداً جداً، وليس شيئاً صحيحاً مما قلته عنها. وللمناسبة، ربما أتجاوز الحد، لا أريد أن أمنحك، قولي لها ما تشائين. طابت ليلتك». «يا سيدك»، قالت السيدة غروباخ متوسلة وأسرعت وراء ك حتى بابه الذي كان قد فتحه، «لا أريد أبداً أن أتحدث مع الأنسة، وطبعاً ما زلت أريد قبل ذلك أن أتابع مراقبتها، ولم أتمن سواك على ما أعرف. ثم إنه لا بد أن يكون من صالح كل مستأجر، إذا حاول المرء أن يحافظ على النزل نظيفاً، ولم يكن لي لدى ذلك مطعم آخر». «النظافة!» صاح ك وهو مازال في فتحة الباب، «إذا كنت ترغبين في المحافظة على النزل نظيفاً، ينبغي عليك أن تذريني بإخلاء حجرتي أولاً». ثم أغلق الباب بعنف، ولم يكرث بعد ذلك بطريقة خفيفة طرقتها الباب.

لكنه قرر، إذ لم يكن لديه أي رغبة في النوم، أن يظل مستيقظاً ويرى أيضاً لدى هذه المناسبة متى ستأتي الأنسة بورستتر. وربما يكون من الممكن أيضاً، مهما كان الأمر غير مناسب، أن يتكلم معها بضع كلمات. وإذ

استند إلى حافة النافذة وضغط بيديه عينيه المتعبتين، بلغ منه أن يفكر لحظة في أن يعاقب السيدة غروباخ ويقنع الأنسة بورستتر بأن تنذرهما بالاشتراك معه بإخلاء الحجر. لكن هذا بدا له في الحال أمراً مبالغاً فيه بشكل مخيف، حتى ظن بنفسه بأنه إنما يريد أن يغيّر سكنه بسبب الوقائع التي وقعت في الصباح. ما من شيء خليق به أن يكون أكثر سخفاً وقبل كل شيء أقل جدوى وأكثر ازدراءً.

ولما ضاق من النظر عبر النافذة إلى الشارع الخالي، اضطجع على الكنبه بعد أن كان قد فتح الباب المؤدي إلى الحجره الأمامية قليلاً، كي يتمكن، وهو مستلق على الكنبه، من رؤية كل من يدخل إلى المنزل. حتى الساعة الحادية عشرة تقريباً ظل راقداً على الكنبه بهدوء وهو يدخن سيجاراً. لكنه بعد ذلك لم يعد يحتمل الأمر هناك، وإنما ذهب قليلاً إلى الحجره الأمامية، وكأنه يستطيع بهذا أن يعجل قدوم الأنسة بورستتر. لم تكن نفسه تنزع إليها بشكل خاص، لابل لم يكن في مقدوره أن يتذكر منظرها بدقة، لكنه الآن أصبح يرغب في الحديث معها، وأثاره أنها بقدمها المتأخر إنما جلبت معها وأضافت إلى ختام هذا اليوم اضطراباً وفوضى. كما أنها كانت سبباً في أنه لم يتناول اليوم طعام العشاء وفي أنه أقلع عن الزيارة التي كان ينوي أن يقوم بها اليوم إلى إلزا. غير أنه كان في مقدوره أن يستدرك كلا الأمرين بأن يذهب الآن إلى حانة النبيذ التي كانت إلزا تعمل فيها كمستخدمة. وهذا ما أراد أيضاً أن يفعله بعد الحديث مع الأنسة بورستتر.

كانت الساعة قد تجاوزت الحادية عشرة والنصف. عندما سُمع أحدهم على الدرج. وكان ك، مسترسلاً في أفكاره، يروح ويجيء في صخب في الحجره الأمامية وكأنها حجرتة الخاصة به؛ وقد فرّ الآن إلى ماوراء بابه.

كان القادم هو الأنسة بورستتر. وبينما كانت توصل الباب، شدت، وهي ترتعش من البرد، شالاً حريرياً حول كتفيها النحيلتين. وفي اللحظة التالية كان عليها أن تدخل إلى حجرتها، التي لا يصح لك حتماً أن يتسلل إليها في منتصف الليل؛ كان عليه الآن إذاً أن ييادرها الكلام، لكنه لسوء الحظ كان قد نسي أن يضيء النور الكهربائي في حجرتها، بحيث أن تقدمه من الحجر المظلمة كان له مظهر مدهامة لا بد أن يُرعب كثيراً على الأقل. في ارتباكها ولعدم وجود متسع من الوقت لإضاغته، همس عبر فتحة الباب: «آنسة بورستتر». ونم ذلك عن رجاء أكثر مما نم عن نداء. «هل هنا أحد»، سألت الأنسة بورستتر ونظرت حولها بعينين واسعتين. «أنا»، قال ك وتقدم. «آه السيد ك!» قالت الأنسة بورستتر وهي تبتسم، «مساء الخير»، ومدت له يدها. «أردت أن أتحدث معك بضع كلمات، هل تسمحين لي بذلك الآن؟». «الآن؟» سألت الأنسة بورستتر، «هل يجب أن يكون الآن؟ ثمة بعض الغرابة في الأمر، أليس كذلك؟». «أنتظر ك منذ الساعة التاسعة». «كنت في المسرح، ولم أكن أعلم عنك شيئاً». «إن الداعي لما أريد أن أقوله لك لم يظهر سوى اليوم». «ليس لدي مانع مبدئياً سوى أنني متعبة لدرجة السقوط على وجهي. تعال إذاً إلى حجرتي لمدة بضع دقائق. هنا لانستطيع بأي حال أن نتحدث، سوف نوقظ الجميع، ومن شأن هذا أن يكون أكثر إزعاجاً لي، وذلك بسببنا أكثر مما يكون بسبب الناس. انتظر هنا، إلى أن أضيء النور في حجرتي، ثم أطفئ النور هنا». وفعل ك هكذا، لكنه انتظر حتى طلبت منه الأنسة بورستتر، من حجرتها، مرة أخرى وبصوت منخفض أن يأتي. «اجلس»، قالت وأشارت إلى الكنية، وظلت هي واقفة عند قائمة السرير رغم التعب الذي كانت قد تحدثت عنه؛ وحتى قبعتها الصغيرة المزينة بفيض من الزهور لم تخلعها. «ماذا تريد إذاً؟ هذا يثير فضولي فعلاً»، ووضعت ساقاً على ساق. «قد تقولين»، بدأ ك، «إن المسألة لم تكن

ملحة هكذا كي يجري الحديث فيها الآن، لكن...». «المقدمات أتجاهلها دائماً»، قالت الأنسة بورستتر. «هذا يسهل مهمتي»، قال ك، «صباح اليوم جرى، بسببي إلى حد ما، إخلال بترتيب حجرتك إخلالاً طفيفاً، وقد حدث هذا من قبل ناس غرباء وضد إرادتي، غير أنه حدث كما قلت بسببي؛ وعن هذا أردت أن أطلب منك المذرة». «حجرتي؟» سألت الأنسة بورستتر وتفحصت ك بدلاً من الحجرة. «هكذا حدث الأمر»، قال ك، ونظر كل منهما الآن في عيني الآخر للمرة الأولى، «إن الطريقة التي حدث بها الأمر لا تستحق بحد ذاتها كلمة». «لكن هذا هو المثير للاهتمام حقاً»، قالت الأنسة بورستتر. «لا»، قال ك. «هه»، قالت الأنسة بورستتر، «لا أريد أن أقحم نفسي في أسرار، وإذا كنت تصرّ على أن الأمر غير مثير للاهتمام، فإنني لا أريد أيضاً أن أعترض على ذلك في أي شيء. والمذرة التي تطلبها، فإنني أعذرك عن طيب خاطر، ولا سيما أنني لا أستطيع أن أجد أي أثر لعدم ترتيب». ودارت دورة في الحجرة وهي تضع راحتها على وركيها. وتوقفت لدى حصيرة الصور الفوتوغرافية، وصاحت: «انظر! صوري تلخبطت فعلاً. وهذا بشع. كان أحدهم إذاً في حجرتي دون أن يكون له حق في ذلك». وأوماً ك برأسه ولعن في سرّه المستخدم كامينر، الذي لم يستطع يوماً أن يكبح حيويته المملة الخاوية. «من الغريب»، قالت الأنسة بورستتر، «أنني مرغمة على منعك من شيء كان ينبغي عليك أن تمنعه بنفسك عن نفسك، وهو الدخول إلى حجرتي في غيابي». «لقد شرحت لك يا أنسة»، قال ك وذهب أيضاً إلى الصور الفوتوغرافية، «أنني لست أنا الذي اعتدى على صورتك؛ لكن إذ أنك لاتصدقيني، فيجب عليّ أن أعترف إذاً بأن لجنة التحقيق قد جلبت معها ثلاثة من مستخدمي المصرف أخذ أحدهم، وسوف أخرجه من المصرف في أقرب فرصة، على الأرجح الصور بيده». «نعم، كانت هنا لجنة تحقيق»، أضاف ك إذ نظرت إليه الأنسة نظرة

تساؤل. «لأجلك؟» سألت الآنسة. «نعم»، أجاب ك. «لا»، صاحت الآنسة وضحكت. «بلى»، قال ك، «هل تعتقدين إذاً أنني بلا ذنب؟». «هه بلا ذنب...»، قالت الآنسة، «لا أريد في الحال أن أنطق حكماً قد يكون حكماً خطيراً، كما أنني لا أعرفك، وعلى كل حال لا بد أن يكون مجزماً كبيراً من ترسيل حالاً في طلبه لجنة تحقيق. لكن إذ أنك طليق - أستنتج على الأقل من هدوئك أنك لم تفرّ من السجن -، فإنه لا يمكنك أن تكون قد ارتكبت مثل هذا الجرم». «نعم»، قال ك، «لكن يمكن للجنة التحقيق أن تكون قد أدركت أنني بريء أو أنني على الأقل لست مذنباً كما أفترض». «بالتأكيد، هذا ممكن»، قالت الآنسة بورستتر بانتباه كبير. «هل ترين»، قال ك، «ليس لديك خبرة كبيرة بأمور المحاكم». «لا، هذا ليس لدي»، قالت الآنسة بورستتر، «وغالباً ما أسفت له، إذ أنني أحب أن أعرف كل شيء، وأمور المحاكم بالذات تهمني بشكل بالغ. إن المحكمة تملك قوة جاذبية مميزة، أليس كذلك؟ لكنني سوف أكمل بالتأكد معلوماتي في هذا الاتجاه، إذ أنني سأبدأ العمل في الشهر القادم ككاتبة في مكتب محاماة». «هذا جيد جداً»، قال ك، «سوف يكون في مقدورك أن تساعدني قليلاً في محاكمتي». «قد يكون هذا ممكناً»، قالت الآنسة بورستتر، «لِمَ لا؟ إنني أستخدم معلوماتي برغبة». «أعني هذا بجدية»، قال ك، «أو على الأقل بنصف الجدية التي تعنيه بها. إن القضية أتفه من أن يكلف بها محام، لكنني قد أحتاج إلى صاحب مشورة». «لكن إذا كان عليّ أن أقدم مشورة، فلا بد لي من معرفة ماهو الموضوع»، قالت الآنسة بورستتر. «هذه هي العقدة»، قال ك، «هذا ما لأعرفه نفسي». «إذاً عملت مني دعابة لك»، قالت الآنسة بورستتر وقد أصيبت بخيبة لاحد لها، «ولم يكن ثمة أي موجب لاختيار هذا الوقت المتأخر من الليل لهذا العمل». وابتعدت عن الصور الفوتوغرافية حيث كانا يقفان مجتمعين فترة طويلة. «لكن لا يا

آنسة»، قال ك، «إنني لا أمرح. أعجب أنك لاتريدين تصديقي. إن ما أعرفه قلته لك، بل أكثر مما أعرف، إذ لم يكن ثمة لجنة تحقيق أبداً، أسميها هكذا لأنني لا أعرف لها اسماً آخر. لم يجر التحقيق في شيء قط، لقد اعتقلت ليس إلا، لكن من قبل لجنة». جلست الأنسة بورستتر على الكنبه وضحكت من جديد: «كيف كان الأمر إذا»، سألت. «مروّعاً»، قال ك لكنه لم يفكر الآن قط بذلك، وإنما أدركه التأثير كلياً من منظر الأنسة بورستتر التي أسندت وجهها على إحدى يديها - كان مرفقها يرقد على وسادة الكنبه - في حين راحت اليد الأخرى تمسح على ردفها. «هذا كلام عام جداً»، قالت الأنسة بورستتر. «ماهو العام جداً؟» سأل ك. ثم تذكر وسأل: «هل أريك كيف جرى الأمر؟». وأراد أن يقوم بحركة دون أن يتعد. «إنني متعبة»، قالت الأنسة بورستتر. «لقد أتيت متأخرة»، قال ك. «الآن يصل الأمر إلى حدّ أن أتلقى لوماً، وهذا مسوّغ أيضاً، إذ كان عليّ ألا أسمح لك بالدخول. كما أن الأمر لم يكن ضرورياً كما تبين». «كان الأمر ضرورياً، وسوف ترين هذا الآن فقط»، قال ك. «هل تسمحين لي أن أبعد المنضدة الصغيرة عن سريرك؟». «ماذا يخطر لك؟»، قالت الأنسة بورستتر، «هذا لايجوز لك طبعاً». «لايمكنني إذاً أن أريك»، قال ك مغتاضاً وكأن المرء ألحق به بذلك ضرراً لايقدر. «حسناً إذا كنت تحتاج الأمر للتمثيل، فلا ضير أن تحرك المنضدة الصغيرة»، قالت الأنسة بورستتر وأضافت بعد هنيهة بصوت أكثر انخفاضاً: «إنني متعبة بحيث إنني أسمح بأكثر مما يكون حسناً». وضع ك المنضدة الصغيرة في وسط الغرفة وجلس وراءها. «عليك أن تتصوري توزيع الأشخاص بشكل صحيح، إن الموضوع في غاية الأهمية. أنا المراقب، وهناك على الحقيبة يجلس حارسان، ولدى الصور الفوتوغرافية يقف ثلاثة شبان. على مقبض النافذة تتدلى، الأمر الذي لأذكره إلا عرّضاً، بلوزة بيضاء. والآن يبدأ الأمر. نعم، إنني أنسى نفسي،

أنا الشخص الأكثر أهمية، أقف إذا هنا أمام المنضدة الصغيرة. المراقب يجلس جلسة مريحة إلى أقصى حد، واضعاً ساقاً فوق ساق، مدللاً ذراعه هنا فوق المسند؛ وغد لامثيل له. والآن يبدأ الأمر إذا فعلاً. المراقب يصيح كأنه ينبغي عليه أن يوقظني، يصرخ حقاً، ينبغي عليّ، إذا أردت إفهامك الأمر، أن أصرخ أيضاً، وللمناسبة، إنه لا يصرخ هكذا إلا باسمي». وضعت الأنسة بورستتر، التي كانت تستمع ضاحكة، سبابتها على فمها، كي تمنعك من الصراخ، لكن بعد فوات الأوان، كان ك مندمجاً في دوره أكثر مما ينبغي، وقد نادى ببطء: «يوزف ك!»، لكنه لم يناد بصوت عال كما كان قد هدد، لكن بدرجة بدا فيها أن النداء، بعد أن أطلق فجأة، لا ينتشر في الغرفة إلا تدريجياً.

عند ذاك قرع باب الحجرة المجاورة بضغ مرّات، بقوة وانتظام وبشكل قصير. امتقع وجه الأنسة بورستتر ووضعت يدها على قلبها. وذعرك ذعراً شديداً بوجه خاص، لأنه كان لفترة وجيزة عاجزاً كلياً عن التفكير في شيء آخر سوى في أحداث الصباح والفتاة التي كان يعرض لها هذه الأحداث. وما كاد يهدئ روعه حتى قفز إلى الأنسة بورستتر وتناول يدها. «لاتخافي شيئاً»، همس قائلاً، «سوف أدبّر كل شيء. ولكن من يمكن أن يكون؟ إن الحجرة المجاورة هي فقط حجرة الجلوس التي لا ينام فيها أحد». «بلى»، همست الأنسة بورستتر في أذن ك، «منذ أمس ينام هنا ابن أخ السيدة غروباخ، ضابط برتبة نقيب. وما من حجرة أخرى خالية. وأنا أيضاً نسيت ذلك. ربّاه هل كان عليك أن تصرخ هكذا! إنني تعيسة بذلك». «لاداعي لذلك قط»، قال ك وقبّل جبينها إذ تراخى ظهرها الآن إلى الوسادة. «ابعد، ابعد»، قالت وهي تعتدل بسرعة من جديد، «اذهب، اذهب. ماذا تريد، إنه ليسترق السمع من وراء الباب، إنه ليسمع كل شيء. كم تعذبني!». «لن أذهب»، قال ك، «قبل أن يهدأ روعك بعض الشيء. تعالي إلى الزاوية

الأخرى من الحجرة، هناك لا يستطيع أن يسمعنا». وتركت نفسها تقاد إلى هناك. «صحيح»، قال، «أن ما حدث هو مضايقة لك، لكنه لا يمثل خطراً أبداً. وأنت لاتفكرين بهذا. تعلمين كم تعزّني السيدة غروباخ حقاً وتصدق بشكل مطلق كل ما أقوله. وهي التي تقرر في هذه المسألة، ولاسيما أن النقيب هو ابن أخيها. كما أنها، للمناسبة، مرتبطة بي، إذ أنها استدانّت مني مبلغاً كبيراً. وسوف أقبل كل اقتراح منك بشأن إيضاح لقائنا، إذا كان فقط يحقق الغاية بعض الشيء، وأضمن أن أحمل السيدة غروباخ على تصديق الإيضاح ليس علناً فحسب، وإنما حقاً وصدقاً. ولاينبغي عليك أن تراعييني في هذا بحال من الأحوال. إذا أردت أن يشاع أنني اعتديت عليك، فسيجري إبلاغ السيدة غروباخ بهذا المعنى وستصدق الأمر دون أن تفقد ثقتها بي، فهي شديدة التعلق بي». كانت الأنسة بورسترن تنظر بهدوء أمامها إلى الأرض وقد تهاوت بعض الشيء. «ماذا لاينبغي على السيدة غروباخ أن تظن أنني اعتديت عليك»، أضاف ك. وأمامه رأى شعرها، شعرها المنفروق، الضارب للحمرة، والمضموم بشكل محكم، والمنفوش على ارتفاع قليل، وظن أنها ستوجه نظرها إليه، لكنها قالت دون أن تبدّل وضعها: «اعذرني، لقد أفرعني الطرق المفاجئى فرعاً كبيراً، ليس كثيراً بسبب النتائج التي قد يؤدي إليها وجود النقيب. بعد صرختك ساد هدوء شامل، ثم قرع الباب، لذا أصبت بذعر، كما أنني كنت أجلس قرب الباب، لقد جاء الطرق إلى جانبي تقريباً. أشكرك على اقتراحاتك، لكنني لأقبلها. في مقدوري أن أتحمّل مسؤولية كل ما يحدث في حجرتي، وإزاء كل امرئ. وأعجب أنك لاتلاحظ أي إهانة لي تكمن في اقتراحاتك، إلى جانب النوايا الطيبة طبعاً، التي أعترف بها ولاشك. لكن اذهب الآن، دعني وحدي، أحتاج الآن إلى هذا أكثر من ذي قبل. إن الدقائق القليلة التي طلبتها، أصبحت نصف ساعة وأكثر». أمسك ك بها من يدها ثم من

تكن تريد أن تقوله، كما أنه لم يكن مناسباً قط: «لاتأخذ الأمر مأخذاً صعباً هكذا يا سيدك»، قالت بصوت منتحب ونست طبعاً المصافحة أيضاً. «لأعرف أنني آخذ الأمر مأخذاً صعباً»، قال ك وقد شعر بالتعب فجأة وأدرك لاقيمة كل موافقات هذه المرأة.

ولدى الباب سأل سؤالاً آخر: «هل الأنسة بورستتر في البيت؟». «لا»، قالت السيدة غروباخ وابتسمت مع هذا الجواب الجاف ابتسامة تنم عن تعاطف متأخر سليم. «إنها في المسرح. هل كنت تريد منها شيئاً؟ هل عليّ أن أبلغها شيئاً؟». «آه، كنت أريد أن أتكلم معها بضع كلمات فحسب». «لا أدري مع الأسف متى ستأتي؛ عندما تكون في المسرح، تأتي عادة في وقت متأخر». «هذا سيئاً كلياً»، قال ك وأدار رأسه المنكسة صوب الباب كي ينصرف، «كنت أريد فحسب أن أعتذر لها لأنني شغلت اليوم حجرتها». «لاداعي لذلك، يا سيدك، إنك تراعي الآخرين أكثر من اللازم، إن الأنسة لاتعرف عن الأمر شيئاً، ولم تكن في البيت منذ الصباح الباكر، كما أن كل شيء قد رُتّب، انظر بنفسك». «شكراً، إنني أصدق»، قال ك وذهب رغم ذلك إلى الباب المفتوح. وكان القمر يضيء بهدوء الحجرة المظلمة، وعلى قدر ما استطاع المرء أن يرى، كان كل شيء فعلاً في مكانه، والبلوزة أيضاً لم تكن معلقة بعد على مقبض النافذة. وبدت الوسائد في الفراش عالية بشكل ملفت للنظر، وكان بعضها يقع في ضوء القمر. «الآنسة تأتي غالباً إلى البيت في وقت متأخر»، قال ك ونظر إلى السيدة غروباخ وكأنها تحمل مسؤولية ذلك. «مثلما هو الحال الناشئ!» قالت السيدة غروباخ معذرة. «لاريب، لاريب»، قال ك، «لكن من الممكن أن يجاوز الأمر حدّه». «هذا يمكن»، قالت السيدة غروباخ، «كم أنت على حق يا سيدك. وربما حتى في هذه الحالة. يقيناً لا أريد أن أفترى على الأنسة

معصمها، وقال: «لكنك لست مستاءة مني؟». تخلصت من يده وأجابته: «لا، لا، لست مستاءة قط ولا من أحد». عاد إلى الإمساك بمعصم يدها، فتحملت ذلك الآن وقادته هكذا إلى الباب. وكان قد أزمع بشكل حازم على الانصراف. لكنه أمام الباب، كأنه لم يكن يتوقع أن يجد باباً هنا، توقف؛ واستفادت الأنسة بورستتر من هذه اللحظة لنتزع نفسها وتفتح الباب وتدخل إلى الحجرة الأمامية وتقول من هناك إلى ك بصوت منخفض: «الآن تعال من فضلك. انظر» - وأشارت إلى باب غرفة النقيب حيث ظهر ضوء من تحته - «لقد أضاء النور ويتحدث عنا». «ها إني آت»، قال ك، تقدم أمامها، أمسك بها، قتلها على فمها ثم على وجهها كله، كما يندفع حيوان ظمآن بلسانه فوق ماء النبع الذي عثر عليه بعد زمن طويل. وأخيراً قتلها على عنقها حيث الحلق، وهناك ترك شفتيه فترة طويلة. وانبعث صوت من غرفة النقيب دعاه يرفع نظره. «سوف أذهب الآن»، قال، وأراد أن يسمي الأنسة بورستتر باسمها الأول، لكنه لم يكن يعرفه. وأومأت برأسها متعبة، وتركت له يدها يقبلها وقد أعرضت عنه بعض الشيء كأنها لاتعلم شيئاً من ذلك، وذهبت منحنية الظهر إلى حجرتها. وبعد ذلك بقليل كان ك يرقد في فراشه. وسرعان ما غشيه النوم، وقبل النوم فكر ملياً هنيهة في تصرفه وكان راضياً عنه، لكنه عجب من أنه لم يكن أكثر رضى؛ وبسبب النقيب ساورته مخاوف شديدة بخصوص الأنسة بورستتر.

صديقة الأنسة بورستتر

في الفترة التالية تعذّر على ك أن يتحدث مع الأنسة بورستتر ولو بضع كلمات. فقد حاول الاقتراب منها بشتّى الطرق، غير أنها عرفت دائماً أن تحول دون ذلك. كان يأتي إلى البيت بعد انتهاء دوام المكتب مباشرة، ويظل جالساً على الكنبه في حجرته دون أن يشعل الضوء، ولا يشغل في شيء آخر سوى مراقبة الحجرة الأمامية. وإذا ما مرّت الخادمة مثلاً وأغلقت باب الحجرة الخالية كما يبدو، فكان ينهض بعد برهة ويفتح الباب ثانية. وفي الصباح أصبح ينهض قبل ساعة من عاداته كي يتمكن ربما من أن يلتقي الأنسة بورستتر وحدها، وهي ذاهبة إلى المكتب. لكن لم تنجح أي محاولة من هذه المحاولات. ومن ثم كتب لها رسالة، إلى المكتب كما إلى المسكن، وحاول فيها مرة أخرى أن يبرر سلوكه، وعرض نفسه لكل ترضية، ووعد بالألا يتجاوز قط الحدود التي من شأنها أن تضعها له، ورجا أن تتيح له فقط إمكانية أن يتحدث معها ذات مرة، ولاسيما أنه لا يستطيع أن يفعل شيئاً لدى السيدة غروباخ، ما لم يتشاور معها قبل ذلك؛ وفي النهاية أعلمها أنه سوف يمكث طوال يوم الأحد القادم في حجرته منتظراً إشارة منها تؤمّله تلبية رجائه أو تشرح له على الأقل لماذا لا تستطيع تلبية الرجاء، رغم أنه وعد أن يرتضي بكل ماتشاء. ولم تعد الرسائل، كما لم يأت جواب. وعلى

العكس من ذلك كان ثمة إشارة يوم الأحد، وكان وضوحها كافياً. فمن الصباح الباكر لاحظت ك من خلال ثقب الباب حركة خاصة في الحجرة الأمامية سرعان ماتوضحت. معلمة لغة فرنسية، كانت ألمانية وتدعى مونتاغ، فناة هزيلة شاحبة تعرج قليلاً، كانت تسكن حتى الآن حجرة خاصة بها، انتقلت الآن إلى حجرة الأنسة بورستتر. وكانت ترى طوال ساعات وهي تجرّ ساقها عبر الحجرة الأمامية. كان دائماً شيء ما، قطعة غسيل أو غطاء صغير أو كتاب، قد نسي ولا بد من إحضاره بشكل خاص وحمله إلى المسكن الجديد.

وعندما جلبت السيدة غروباخ طعام الفطور إلى ك - بعد أن كانت أغضبت لم تترك للخدمة أية خدمة - لم يستطع إمساك نفسه عن مخاطبتها لأول مرة منذ خمسة أيام. «لماذا ترتفع اليوم مثل هذه الضجة في الحجرة الأمامية؟» سأل وهو يصب القهوة. «ألا يمكن إيقاف ذلك؟ هل يجب الترتيب يوم الأحد بالذات؟» ورغم أن ك لم ينظر إلى السيدة غروباخ، فإنه لاحظ أنها تنهدت في ارتياح. حتى أسئلة ك الدقيقة هذه اعتبرتها اعتذاراً أو بداية للاعتذار. «لايجري ترتيب يا سيد ك»، قالت، «ليس إلا الأنسة مونتاغ تنتقل إلى الأنسة بورستتر وتقل أغراضها». ولم تقل شيئاً آخر، وإنما انتظرت كيف يأخذ ك الأمر وفيما إذا كان من شأنه أن يسمح لها بالاستمرار في الحديث. لكن ك راح يختبرها، حرك القهوة بالمعلقة وهو مستغرق في التفكير، ولاذ بالصمت. ثم تطلع إليها وقال: «هل تخليت عن تهمتك السابقة بخصوص الأنسة بورستتر؟». «يا سيد ك»، نادى السيدة غروباخ التي ما كانت تنتظر إلا هذا السؤال، ومدت يديها المشبوكتين إلى ك، «لقد أخذت مؤخراً ملاحظة عابرة مأخذاً صعباً. إنني لم أفكر أن أغيظك أو أغيظ أحداً بأي حال. إنك تعرفني منذ فترة كافية يا سيد ك كي تكون

مقتنعاً بذلك. وأنت لاندري قط كم عانيتُ في الأيام الأخيرة! وأنا سأشي بمستأجري! وأنت يا سيد ك تظن ذلك! وقلت أنه علي أن أندرك! أندرك أنت!« واحتقن النداء الأخير تحت الدموع، رفعت مئزرها إلى وجهها وراحت تنتحب بصوت عال.

«لاتبكي يا سيدة غروباخ»، قال ك ونظر خارج النافذة، وفكر فقط بالآنسة بورستتر وبأنها أنزلت فتاة غريبة في حجرتها. «لاتبكي»، قال مرة أخرى وهو يتوجه صوب الحجره والسيدة غروباخ مازالت تنتحب. «كما لم أكن آنذاك أعني الأمر بشكل سيء هكذا. لقد أساء كل منا فهم الآخر. وهذا يمكن أيضاً أن يحدث مرة لأصدقاء قديمين». وأزاحت السيدة غروباخ المئزر تحت العينين كي ترى فيما إذا كان ك قد رضي فعلاً. «حسناً، إن الأمر هكذا»، قال ك وأقدم الآن، إذ يستدل من سلوك السيدة غروباخ أن النقيب لم يكن قد باح بشيء، على أن يضيف: «هل تظنين إذاً فعلاً أنه في مقدوري أن أناصبك العداة بسبب فتاة غريبة». «هذا هو السؤال حقاً يا سيدك»، قالت السيدة، وكان من سوء حظها أنها حالما كانت تشعر بحرية أكثر على نحو أو آخر كانت تقول على الفور شيئاً غير لبق، «كنت أسأل نفسي المرة بعد الأخرى: لماذا يهتم السيد بالآنسة بورستتر كل هذا الاهتمام؟ لماذا يتشاجر معي بسببها، رغم أنه يعلم أن كل كلمة سيئة منه تسلبني النوم؟ إنني لم أقل عن الآنسة شيئاً آخر سوى ما رأيته بعيني». ولم يقل ك شيئاً تعقيباً على ذلك، كان ينبغي عليه مع أول كلمة أن يطردها من الحجره، وهذا ما لم يكن يريد. لقد اكتفى بتناول القهوة وإشعار السيدة غروباخ بزيادتها عن اللزوم. وفي الخارج عاد المرء يسمع الخطوة المتثاقلة للآنسة مونتاغ، التي راحت تدرع الحجره الأمامية بكاملها. «هل تسمعين؟» سأل ك وأشار بيده إلى الباب. «نعم»، قالت السيدة غروباخ وهي تنتهد،

«أردت أن أساعدها وأدع الخادمة أيضاً تساعدها، غير أنها عبيدة وتريد أن تنقل كل شيء بنفسها. إنني أعجب من الأنسة بورستتر. غالباً ما يثقل عليّ كوني أجرت للآنسة مونتاغ. لكن الآنسة بورستتر تأخذها حتى إلى حجرتها». «يجب على هذا ألا يشغل بالك أبداً»، قال ك وهو يفتت بقايا السكر في الفنجان. «هل عاد عليك هذا بضرر؟». «لا»، قالت السيدة غروباخ، «في الواقع هذا يناسبني كلياً، إذ يصح لديّ حجرة خالية أستطيع أن أسكن فيها ابن أخي النقيب. منذ فترة طويلة وأنا أخشى أن يكون قد أزعجك في الأيام الأخيرة التي اضطرت فيها أن أدعه يقيم في حجرة الجلوس المجاورة. إنه لايراعي كثيراً». «أية خواطر!» قال ك ونهض، «إنه لايزعجني إطلاقاً. يبدو أنك تعتبريني مفرط الحساسية، لأنني لا أستطيع تحمّل تجوال الآنسة مونتاغ هذا. هاهي تعود الآن ثانية». وبدأت السيدة غروباخ لنفسها مغلوبة على أمرها. «هل عليّ يا سيد ك القول بأن عليها تأجيل القسم الباقي من النقل؟ إذا أردت أفعل ذلك في الحال». «لكنها ستنتقل إلى الآنسة بورستتر!» قال ك. «نعم»، قالت السيدة غروباخ، ولم تفهم تماماً ماذا عنى ك. «إذا»، قال ك، «لأبد لها من ثم أن تنقل حاجياتها». واكتفت السيدة غروباخ بأن أومأت برأسها. هذه الحيرة الصامتة، التي لم تبد في الظاهر شيئاً آخر غير عناد، أثارت ك أكثر. وبدأ يذرع الحجرة من النافذة إلى الباب ذهاباً وإياباً، وقطع بهذا على السيدة غروباخ إمكانية الانصراف، الأمر الذي كان من شأنها أن تفعله على الأرجح.

وإذ وصل ك مرة أخرى إلى الباب، قرع هذا. وكانت الخادمة، التي أبلغت أن الآنسة مونتاغ إنما تودّ أن تتحدث مع السيد ك بضع كلمات وأنها ترجوه لهذا أن يأتي إلى حجرة الطعام حيث تنتظره. واستمع ك إلى الخادمة متأملاً، ثم التفت بنظرة مستهزئة تقريباً إلى السيدة غروباخ المدعورة.

